الصيف المتشرد

فيكاس سهارب

النبراس
للطباعة و النشر

النبراس

للطباعة و النشر

صنعاء

المليونير المتشرد

بقلم :

فيكاس سوارب

ترجمة :

نشوان زيد علي عنتر

٢٠٢٠م

نبذة عن المؤلف :

ولد فيكاس سوارب في مدينة الله آباد في الهند ، بعد تخرجه من مدرسة الله آباد العليا للبنين ، سعى لدراسة التاريخ و الفلسفة و علم النفس في جامعة الله آباد ، في عام ١٩٨٠م إلتحق بوزارة الخارجية الهندية ، و عمل كدبلوماسي في تركيا و أمريكا و إثيوبيا و بريطانيا و بريتوريا ، و أضحى قنصل الهند في أوساكا باليابان عام ٢٠٠٩م .

كيو و إيه هو عنوان كتابه الأول الذي تم إقتباس فيلم (المليونير المتشرد) منه حيث إستغرقت كتابته حوالى شهرين ، إلا أنه نشر و ترجم إلى ٤٢ لغة أجنبية ، أما روايته الثانية (ستة مشبوهين) فقد نشرت عام ٢٠٠٨م .

يحب فيكاس الإستماع إلى الموسيقى و لعب الكريكت و كرة المضرب و تنس الطاولة ، تزوج من أبارنا و أنجب منها ولديه أديتيا و فارون .

يقول فيكاس أن فكرة روايته (المليونير المتشرد) أتته لحظة مشاهدته البرنامج الجماهيري (من سيربح المليون ؟) ، إعتقد حينها أنها ستكون ممتعة لو فاز بها طفل أمي من أطفال الشوارع و سيكون متهما بالغش فيها ، فلقد عرض برنامج (من سيربح المليون ؟) التلفزيوني في أكثر من مائة دولة ، و أول ظهور له كان في بريطانيا بالرابع من سبتمبر عام ١٩٩٨م و حاز على إعجاب ١٩ مليون مشاهد عام ١٩٩٩م ، ظهرت النسخة الهندية من البرنامج عام

٢٠٠٠م حيث قدمه الممثلين المشهورين في بوليوود أميتاب باتشان و شاروخان .

ظهرت هناك برامج مشابهة ل (من سيربح المليون ؟) في بلدان عدة تتنافس فيها فرق مشهورة لصالح الأعمال الخيرية أو الأطفال فيما بينهم داخل مدارسهم .

تدور أحداث الرواية حول سيرة حياة رام محمد توماس كما سماه رجل الدين الكاثوليكي الأب تيموثي تعبيرا عن أهم ثلاثة أديان في الهند ، فرام يرمز إلى الهندوسية و محمد إلى الإسلام و توماس إلى المسيحية ، كذلك أبطال الرواية لهم إرتباط وثيق بإسمه الطويل ، فسليم مسلم يناديه بإسم محمد ، و الكولونيل تايلور مسيحي يناديه بإسم توماس ، و محاميته سميتا هندوسية تناديه بإسم رام .

فرام ولد صغير مولود في نيودلهي ، لكنه نشأ في إحدى الأحياء العشوائية في بومباي (المعروفة لدى الهنود بإسم مومباي) و هي واحدة من أكبر مدن العالم المكتظة بالسكان حيث مازال هناك العديد من الأحياء العشوائية فيها على الرغم من أن حوالى ٦٠٪ من سكانها البالغ عددهم ١٣ مليون نسمة يعيشون في مبانيها المتواضعة ، و الباقي في طور النمو حيث أن المشكلة الأعظم في هذه الأحياء العشوائية تكمن في مياه الشرب التي تكاد تكون معدومة ، فضلا عن الفيضانات التي تجتاحها خلال موسم الرياح الموسمية

مما يؤدي إلى تدهور المعيشة فيها أسوأ من ذي قبل ، لدرجة أن بعض الناس يطلقون على بومباي إسم (خليج العشوائيات) .

رام لديه أسبابه الخاصة التي دفعته للمشاركة في برنامج من سيربح المليون ؟ و التي سنكتشفها فقط في ختام الرواية ، فبعدما قبض عليه بتهمة الغش ، يخبر محاميته سميتا بقصص مختلفة من حياته ، في كل قصة منها تعرف من خلالها أسرار إجاباته الصحيحة على أسئلة البرنامج .

بطل فيلم (المليونير المتشرد) ديف باتل هو أيضا ترعرع في الأحياء العشوائية لمدينة بومباي ، و هو فيلم بريطاني أخرجه داني بويل و صوره في الهند و رشح لجوائز الأوسكار و فاز بثمانية منها عام ٢٠٠٩م من بينها أوسكار أفضل فيلم و أفضل مخرج .

الفصل الأول

غش

بدأ الألم يسري بكافة أرجاء جسدي الصغير معلقا على سارية خشبية داخل غرفة واسعة ، يداي مربوطتان بالسارية و قدماي بعيدة عن أرضية الغرفة بمسافة متر واحد ، و المفتش غودبول مازال يضربني لأكثر من ساعة بعدما غطس وجهي في دلو ماء و كدت أختنق من تغطيسه المستمر لي ، ثم مرر أمامي و أنا معلق ورقة و قلم طالبا مني أن أكتب هذه الكلمات :

(أنا رام محمد توماس غششت في برنامج من سيربح المليار ؟ و لن أستلم جائزتي أو أي جائزة أخرى منها ، أنا آسف)

طلب مني المفتش غودبول توقيعي على ما في الورقة من كلام غير صحيح بالمرة ، أنا لم أغش في البرنامج ، غير أن إدارة التلفزيون غير قادر على أن يدفع لي مليار روبية ، كان الألم فظيع و لم أعد قادرا على الوقوف أكثر من هذا ، فجأة ، سمعت أصوات صراخ ، فإذا بإمرأة شابة بشعرها الطويل الأسود اللون و أسنانها البراقة تدخل علينا في غرفة التحقيق و هي تحمل حقيبة بنية اللون ، صرخ غودبول في وجهها (من أنت ؟)

(أنا سميتا شاه ، محامية رام محمد توماس)

تأملت جسدي المعلق على السارية الخشبية ثم إلتفتت نحو غودبول بسرعة (هذا مخالف للقانون ، أوقف تعذيبه على الفور)

كان غودبول في غاية الدهشة و كذلك أنا ، لم أر هذه المرأة أبدا من قبل ، كما أني غير قادر على دفع أتعابها (محاميته ؟ أنت محاميته ؟)

(نعم ، أريد رؤية مذكرة اعتقاله ، اعطها لي الآن و إلا سأخذ سيد توماس معي من قسم الشرطة هذا للتحدث معه بشكل خاص)

(ممم ..... أنا ..... أنا مضطر للتحدث مع المأمور ، إنتظريني رجاء)

ثم عجل بإخلاء سبيلي من غرفة التحقيق دون أن أعلم السبب ، إلا أني سقطت من شدة الألم و الجوع و الحزن .

كنت في منزل سميتا بحي باندرا في ساعة متأخرة من الليل ، أكلت و نمت ، ثم تمددت على أريكة واسعة بغرفة الجلوس بينما سميتا جلست في نهايته بالقرب مني و بيدها شريط فيديو (لقد حصلت على النسخة المسجلة من البرنامج ، الآن يمكننا مشاهدتها بإنتباه ، كيف تمكنت من الإجابة على كافة الأسئلة ؟ هل غششت ؟ لا بد أن تخبرني بالحقيقة يا رام)

(كيف بإمكاني أن أثق بها ؟) سألت نفسي هذا السؤال ، فأخرجت من جيبي عملة الحظ من فئة روبية واحدة (إذا كانت رؤوس سأتحدث إليها ، و إن كانت ذيول سأودعها)

فرميت العملة في الهواء لتسقط على الأرض بصورة رؤوس ، فأخبرت سميتا فرحا (أنا محظوظ)

(محظوظ ؟ هل كانت إجاباتك الصحيحة مجرد تخمين ؟)

(لا ، لم أخمنها ، بل كنت على علم بها من قبل)

(اذن ، لماذا تقول أنك محظوظ ؟)

(أنا محظوظ لأنهم سألني هذه الأسئلة)

صمتت سميتا للحظة ثم قالت (لنبدأ بالسؤال الأول ، و عدني بألا تكذب علي)

(أعدك)

أخرجت الشريط من جعبتها و وضعته في آلة التسجيل .

الفصل الثاني

الأب تيموثي

وجدوني طفلا رضيعا ملقى خارج كنيسة سانت ماري في نيودلهي خلال أعياد رأس السنة الميلادية منذ ١٨ عاما ، من القى بي هناك و لماذا ؟ غير أني عشت في ملجأ الأيتام التابع لكنيسة سانت ماري لمدة عامين قبل أن أتعرف على الأب تيموثي ، رجل دين رقيق القلب منحني بيته و إسمه أيضا (سأسميك رام محمد توماس ، هذا الإسم سيجعل الناس من كافة الأديان سعداء بك حينما تلتقي بهم)

كان لديه منزل ضخم بالقرب من الكنيسة ببستان واسع مليء بأشجار الفاكهة ، على الرغم من انه ولد في يورك شمال بريطانيا و مازال يزورها ثلاث مرات في السنة لرؤية والدته و الإطمئنان عليها إلا أنه عاش في الهند لعدة أعوام ، علمني اللغة الإنجليزية خلال فترة إقامتي معه طوال ستة أعوام حيث قضيت أسعد أيام حياتي فيها .

حضر العديد من أطفال الشوارع الى حدائق الكنيسة حيث مارسوا فيها لعبتي الكريكت و كرة القدم ، و بدأت لاحقا أشعر بأني صرت جزء من عائلة كبيرة الحجم .

لقنني الأب تيموثي دروسا عن حياة عيسى عليه السلام و عن الأديان الأخرى من أطفال الشوارع و آبائهم و أمهاتهم .

كان للكنيسة نوافذ ملونة ، و فوق منضدتها الكبيرة مجسم عملاق للمسيح أو عيسى عليه السلام و هو مصلوب و الأحرف الأولى من الله و الروح و القدس ، غالبا ما كنت أطيل النظر فيه حينما أجلس في الكنيسة و أستمتع بموسيقاها الروحانية و أشجار الميلاد الموجودة فيها خلال أعياد رأس السنة أو الكريسماس .

إعتقدت في سنوات حياتي الأولى أن الأب تيموثي هو والدي الحقيقي ، و تفاجأت لدى سماعي الأخرين ينادونه أبي و أيضا أضحى لدي العديد من الأشقاء و الشقيقات ، كان أبيض البشرة عكسي تماما فقد كانت بشرتي سمراء مما أثار استغرابي ، سألته ذات يوم عن ذلك فأخبرني بحقيقة كوني يتيم ، و أدركت للمرة الاولى الفرق بين الأب المعروف لدى الناس براعي الكنيسة و الأب الذي ينجب أطفالا من صلبه ، فصرخت على نفسي باكيا و أنا نائم .

لقد الأب تيموثي راعي كنيسة مذهل ، شاهدته يمنح المال للفقراء و المحتاجين و المرضى و يزورهم و البسمة ترتسم على وجهه على الدوام .

عندما مات كان عمري ثمان سنوات ، كانت وفاته أسوا يوم في طفولتي .

(إنها قصة حزينة حقا .... ماذا حدث لك بعد ذلك ؟)

(أرسلوني إلى ملجأ الأيتام)

(فهمت الآن)

نظرت سميتا إلي بحزن شديد للحظة ، ثم إستأنفت الكلام معي و ضغطت على زر التسجيل (و الآن خبرني عن السؤال الأول من مسابقة من سيربح المليار ؟)

همس مقدم البرنامج بريم كومار في أذني (بالنسبة للسؤال الأول سأسالك ، ماذا كلمة تعني كلمة إف بي أي ؟)

(لا أعرف)

(أصغ إلي ، نريدك أن تفوز بالقليل من المال ، لذا يمكنني أن أغير السؤال)

فكرت لبرهة (لا أعرف معنى اف بي اي ، لكني أعرف معنى أي إن أر أي ، إنها مكتوبة على صليب المسيح أعلى قمة الكنيسة)

إنتهت فترة الفاصل الإعلاني في البرنامج ، و عاد مقدمه لسؤالي مجددا (معنا هذه الليلة السيد رام محمد توماس في إستديو البرنامج ببومباي ، ماذا تعمل سيد توماس ؟)

(أعمل نادلا في مطعم و بار جيمي)

(فهمت ، حسنا ، سيد توماس ، يبدو أن إسمك الطويل يشمل جميع الأديان لدرجة أنه ربما تعرف إجابة هذا السؤال .... و ها هو السؤال الأول بقيمة ألف روبية ، ماهي الأحرف الموجودة في صليب المسيح ؟ ١- أي أر إن أي ٢- أي إن أر أي ٣- إن أي أر أي ؟ .... هل تعرف الإجابة سيد توماس ؟)

(نعم ، الإجابة هي رقم ٢ أي إن أر أي)

(هل أنت متأكد سيد توماس ؟)

(نعم)

دقت الطبول ، و ظهرت الإجابة الصحيحة على الشاشة (و إجابتك صحيحة ، و لقد فزت بألف روبية)

الفصل الثالث

دار العجزة

بعد وفاة الأب تيموثي ، أرسلوني إلى ملجأ الأيتام الذكور في بوابة تركمان بنيودلهي ، لقد كان مكتظا بالأطفال و تعمه الفوضى و القذارة حيث يوجد فيها فصولا دراسية بأدراج مكسورة و أساتذتها نادرا ما يحضرون إليها لإلقاء الدروس فيها لسنوات طوال ، كنا نأكل على طاولات خشبية طويلة في هذه الغرفة ، الا أن الطباخ يبيع معظم طعامنا من اللحم إلى المطاعم ، و يعطونا بدلا منها الخضروات و الشباتي الداكن و الدسم .

كان المسئول عنا عجوز لطيف يدعى السيد أغنهورتي ، لكن نائبه سيد غوبتا هو من يصدر الأوامر لنا و يحمل العصا و يضربنا بها وقتما يحلو له ذلك .

تعرفت لاحقا على العديد من أطفال الملجأ ، بعضهم كان أصغر مني سنا و معظمهم أكبر مني في العمر و الجسم ، مقارنة بإقامتي الطويلة في منزل الأب تيموثي يعد هذا الملجأ مكانا مرعبا و بائسا بالنسبة لي ، لكني أدركت فيما بعد أنه بالنسبة للأولاد الأخرين مكان رائع جدا ، سيما و أنهم أتوا من الأحياء العشوائية في ولايتي نيودلهي و بيهار و من النيبال حتى ، إستمع إلى قصصهم المأساوية عن آبائهم و أمهاتهم و أعمامهم و عماتهم و أخوالهم و خالاتهم القساة الذين يضربونهم ضربا مبرحا و يأخذون أموالهم عنوة .

أصبحت زعيمهم المطلق بحكم إجادتي للغة الإنجليزية و ليس بحكم سني الكبير ما آثار إعجاب المشرف و المسئولين الأخرين و المدرسين ، و حينما كنت أمرض يضعني الطبيب فورا في غرفة خاصة بي مجهزة بكافة وسائل الراحة و الرعاية الصحية لمدة أسبوعين فأكثر ، أخبروني أن الولد الجديد قد وصل حيث تم إرساله إلينا منتصف اليوم ، كان يرتدي قميصا ممزقا و بنطالا قصيرا قذرا ، لقد كان لقائي الأول بسليم إلياس ، عمره سبع سنوات فقط ، إلا أنه كان ذكيا و يسأل العديد من الأسئلة الذكية ، أصبحنا صديقين حميمين ، كلانا يتيم و لا أمل لنا بإيجاد عائلتينا و يحب مشاهدة الأفلام السينمائية ، نجمه المفضل هو أرمان علي ، و عندما شفيت أعطيته السرير الملاصق لسريري ، قمت أنا و سليم ذات يوم ربيعي جميل بزيارة بوابة الهند لرؤية الكرنفال الكبير و كان بحوزة كل واحد منا عشر روبيات كمصروف للجيب ، أردت مواصلة اللعب في العجلة المتحركة الكبيرة ، إلا أن سليم سحبني من ياقتي ، فلقد رأى امامه سوقا أخر للأدوات المستعملة هناك ما آثار اهتمامه أكثر ، و قرأ بالقرب منها لافتة مكتوب عليها (باندیت رامشنكار شاستي ، بائع البخت العالمي المشهور ، عشر روبيات) حيث جلس في هذا السوق رجل عجوز ذو شارب أبيض ، سألني سليم (أريد أن يقرأ كفنا مقابل عشر روبيات)

(حسنا ، لكن لن أعطيه عشر روبيات الخاصة بي)

دفع سليم نقوده للعجوز الذي نظر إلى يده ، و بعد برهة من الزمن رد عليه قائلا (أرى مستقبلا رائعا لك)

(حقا ؟ ماذا سأكون ؟)

أغلق العجوز عيناه لعشر ثوان و ما لبث أن فتحهما (لديك وجه جميل ، و ستصبح ممثلا مشهورا جدا)

(مثل أرامان علي ؟)

(بل أكثر شهرة من أرمان علي)

إلتفت العجوز إلي (هل تريدني أن أقرأ كفك ؟)

(لا شكرا)

و هممت بالإبتعاد عنه ، إلا أن سليم أوقفني و أقنعني بأن أسمح له بقراءة كفي إرضاء له ، فأعطيت العجوز ما معي من نقود و أمسك بيدي اليمنى متأملا إياها لأكثر من خمس دقائق ، ثم كتب بعض الملاحظات ، سأله سليم (ما الخطب ؟)

تأمل رأسه و لم يكن يبدو سعيدا (ستواجهك العديد من المشاكل ، يمكنني مساعدتك و لكن هذا سيكلفك بعض المال)

(كم تريد ؟)

(مائتي روبية ، يمكنني أن أطلب من والدك بعض المال ، هل هذه الحافلة الكبيرة له ؟)

ضحكت من سؤاله هذا (لسنا أطفالا أغنياء ، نحن أيتام من ميتم نيودلهي للذكور ، و هذه الحافلة ليست لوالدنا ، راجع معلوماتك قبل أن تخبرنا بهذه القصص)

ما إن بدأت أنا و سليم بالإبتعاد عنه حتى صرخ العجوز علينا (أسمعني يا فتى ، أريد أعطاك شيئا ما)

ما إن عدت إليه حتى أعطاني عملة معدنية قديمة من فئة روبية واحدة (هذه عملة الحظ ، حافظ عليها ، ستحتاجها لاحقا)

أراد سليم شراء المثلجات ، و لم يكن بحوزتنا سوى روبية واحدة و غير كافية لشراء حاجتنا من المثلجات ، فجأة ، وقعت العملة المعدنية على الأرض عندما كنت أهز جيبي ، فرأيتها وقعت بالقرب من ورقة نقدية من فئة عشر روبيات سقطت من أحد المارة ، لدرجة أنا و سليم إشترينا المثلجات بها و وضعت عملتي المعدنية في بحرص شديد ، لقد كانت تجلب لي الحظ فعلاً .

كان يزور ملجأنا من وقت لآخر رجل كبير يدعي سيثجي ، و هو معروف لدى بعض الأطفال بأنه رجل أعمال شديد الثراء ليس لديه أبناء ، قالوا لي بأنه يمتلك مدرسة في بومباي يضع فيها الأطفال الأذكياء و الموهوبين من ملجأنا

لتدريسهم و تعليمهم ، تمنينا من قلبنا جميعا أن يأخذنا سيثجي معه إلى هناك .

كانت بومباي عاصمة السينما الهندية (بوليوود) ، لذا تمنى سليم من سيثجي أن يأخذه إلى مدرسته و يصنع منه نجما سينمائيا حيث كان يثق بكلام المنجم العجوز ثقة عمياء .

وصل سيتجي و بصحبته رجلان آخران ، لم يبدوا لي رجال أعمال بل قطاع طرق ، عرفت أن إسميهما مصطفى و بونوس ، و ذهب السيد غوبتا معهم .

تأمل سيتجي كل ولد فينا بإنتباه شديد حيث إبتسمنا أمامه جميعا أفضل إبتسامة ، إستحم سليم ثم إرتدى أفضل ثيابه إستعدادا لليوم الموعود ، و عندما أتى سيثجي اليه وقف أمامه على الفور .

(ما إسمك ؟)

(س سليم إلياس)

سأل السيد غوبتا (متى أتى إلى هنا ؟)

(منذ حوالى ١١ شهرا ، من تشهابرا بولاية بيهار ، عمره ثمان سنوات ، و جميع أفراد عائلته ماتوا)

(يا لها من قصة محزنة جدا ، لكنه من نوعية الأولاد الذين أريدهم في مدرستي)

نظر السيد غوبتا إلى سليم ثم أشار إلي (و ماذا عنه ؟)

(إنه أكبر سنا مما يجب)

(عمره عشر سنوات ، إسمه توماس و يتحدث الإنجليزية بطلاقة ، فلو أخذت سليم فيجب أنت تأخذ توماس معك أيضا ، فلست مضطرا لأن تدفع ثمنه ، إشتري أحدهم و خذ الآخر مجانا)

تشاور سيثجي مع رجاله ثم أردف قائلا (حسنا ، سأخذهما معي يوم الإثنين)

لم ينم سليم في تلك الليلة لشعوره الطاغي بالسعادة ، سافرنا عبر القطار من نيودلهي إلى بومباي بمعية مصطفى و بونوس بدون سيثجي الذي سبقنا إلى بومباي عبر الطائرة ، أخبرونا قليلا عنه و عن إسمه الحقيقي (بابو بيلاي) ، إلا أن الجميع في بومباي ينادونه بمامان و هي تعني الخال باللغة الملايامية حيث أتى من كولام بولاية كيرالا رغم إقامته الطويلة في بومباي و إمتلاكه مدرسة للأطفال المعاقين .

يعتقد مامان أو سيثجي بأن الأطفال المعاقين أكثر قربا إلى الله ، فلقد أنقذ حياة العديد منهم و حررهم من قهر عائلاتهم و أعطاهم المستقبل المنشود ، في مدرسته تعلمنا أشياء مدهشة تمنحنا الخبرة و النجاح في حياتنا كما أخبرونا ، في نهاية الرحلة تأكدت من أنه أفضل شئ حدث لي طوال حياتي .

إستقلينا سيارة أجرة إلى منزل مامان بجريجون حيث لم يكن كبير الحجم كما توقعنا ، مجرد بناية قديمة ذات حديقة صغيرة و سور عال يحيط بها من كافة

الجوانب ، و يحرسه رجلان عملاقان يقفان خارجه يدخنان السجائر و يحملان بأيديهم قضيبان طويلان و ثقيلان جدا ، تحدث بونوس إليهما سريعا باللغة الملايامية ، بدا لنا أنهما من الحراس .

ذهبنا إلى المنزل ، و أشار مصطفى من أحد نوافذه إلى بعض الأسقف في الحديقة (هذه مدرسة مامان للأطفال المعاقين ، و الآخرون يعيشون هناك أيضا)

(لا أرى أحدا منهم)

(إنهم يقومون بجولة تدريبية ، ستراهم لاحقا يا توماس)

أخذنا مصطفى إلى غرفتنا ، لقد كانت صغيرة الحجم بسريرين و مرآة طويلة معلقة على الحائط ، في الدور الأسفل للمنزل كان هناك حمام يمكننا إستخدامه ، بدا لنا بأننا الأطفال الوحيدون الذين يعيشون فيه .

حضر مامان للترحيب بنا هذا المساء ، أخبره سليم أنه إستمتع كثيرا بمجيئه إلى بومباي ليكون نجما سينمائيا مشهورا فيها ، إبتسم مامان له (لكي تصبح نجما سينمائيا لابد أن تكون قادرا على الغناء و الرقص ، أيمكنك أن تغني ؟)

(لا عليك ، سأجد لك مدرس موسيقى ممتاز كي يعطيك دروسا في الغناء و الموسيقى)

بالكاد قبل سليم يد مامان ثم إنتصب واقفا أمامه ، ذهبنا فيما بعد إلى سقيفة المدرسة لتناول العشاء هناك حيث كانت توجد فيها طاولات خشبية طويلة ،

الا أني و سليم جلسنا مع مصطفى في طاولة صغيرة ، أحضروا لنا الطعام قبل مجيء الآخرين حيث كان حارا و لذيذا و أفضل بكثير من الطعام الذي كنا نتناوله في ملجأ الأيتام بنيودلهي .

ثم توافد بقية الأولاد علينا ، كان منظرهم يثير الرعب ، رأيت أولادا بلا عيون و لا أذرع و لا سيقان ، من حظنا أننا أنهينا طعامنا مبكرا .

وقف ثلاثة منهم في إحدى زوايا الغرفة يشاهدون نظرائهم يأكلون ، فأخبرنا مصطفى عنهم (إنهم معاقبون لأنهم كسالى ، لا تقلقوا سيأكلون فيما بعد)

وصل مدرس الموسيقى في اليوم التالي ، فأخبرنا مصطفى (إتصل بي ماسترجي)

عندما غنى سليم أمامه ، إكتشفنا أن صوته جميل ، إلتفت ماسترجي إلي و طلب مني أن أغني ، و عندما غنيت وضع ماسترجي أصابعه في أذنيه (سأضطر إلى إعطائك دروسا أكثر في الغناء)

حاول مصطفى و بونوس منعنا من التحدث مع الأولاد في مدرسة المعاقين ، إلا أننا عرفنا بعضا منهم و سمعنا قصصهم المحزنة ، لكننا بدأنا نعرف حقيقة الوجه الآخر لمامان ، أخبرنا أشوك البالغ من العمر ١٣ عاما بأنهم ليسوا طلاب مدرسة بل شحاذون يتسولون بالقرب من محطة القطار (و ماذا يحدث للمال الذي تجنوه من التسول ؟)

(نعطيه لرجال مامان رغما عنا)

(إذن ، مامان قاطع طريق)

(نعم ، إلا أنه يعطينا وجبتين في اليوم)

شعرت بالصدمة و القلق الشديد مما سمعته ، إلا أن سليم لم يصدقه و ظل واثق بمامان كل الثقة حيث لا يأتي من ورائه إلا كل خير .

سألت راجو الأعمى ذو العشر سنوات (لما أنت معاقب اليوم ؟)

(لم أجمع لهم المال الكافي ، فلو أعطيتهم أقل من مائة روبية فلن أحصل على الطعام ، و سأنام و أنا جائع)

تحدثت الى رادلي ذو الأحد عشر عاما و ساق واحدة (لما أنت معاقب ؟)

(هذا سر ، فلا تخبر أحدا به ، في مدينة جوهو تعيش ممثلة مشهورة هناك تعطيني المال و الطعام و إسمها نيلما كوماري ، يقال أنها كانت نجمة ذائعة الصيت في السينما الهندية فيما مضى)

(كيف كانت تبدو ؟)

(يمكن أن تقول أنها بغاية الجمال في شبابها ، أما الآن فلقد أضحت عجوز تحتاج إلى خادم أو خادمة ، لو كان لدي ساقان لهربت من هنا و عملت عندها ، في تلك الليلة حلمت بالذهاب إلى منزلها في جوهو و فتحت إمرأة طويلة لي الباب ، لم تكن نيلما كوماري بل والدتي حيث إرتدت الساري الأبيض ، لم أتمكن من رؤية وجهها بسبب الريح الذي بعثر شعرها الأسود

الطويل ، ما إن بدأت أخبرها بشيء حتى إكتشفت أني بلا ساقين ، فإستيقظت مرعوبا بعدما تحول الحلم إلى كابوس)

وصلت دروس الموسيقى إلى مسك الختام حيث كان ماسترجي مسرور أيما سرور من سليم (مازال هناك المزيد من الدروس التي من الواجب عليك تعلمها و لا سيما المتعلقة بأغاني سورداس ، هل تعرف من هو سورداس ؟ إنه مطرب مشهور جدا حيث كتب و لحن آلاف الأغاني عن رحمة الإله كريشنا على الرغم من كونه ضرير)

في أخر يوم من دروس الموسيقى الخاصة بنا ، أتى بونوس إلى غرفتنا لمخاطبة ماسترجي حول أصواتنا ، ثم دفع بعض المال و غادرا الغرفة .

ثم رأيت مائة روبية ملقاة على الأرض وقعت من جيب بونوس ، و ما إن وضعتها في جيبي حتى إنتزعها سليم مني (لا بد من إعادتها إلى بونوس)

ذهبنا إلى مكتب مامان ، و ما إن إقتربنا من الباب حتى سمعنا مامان مع بونوس (إذن ، ماذا قال لك ماسترجي بشأنهما ؟)

(الولد الكبير سيء جدا في الغناء ، أما الصغير فأفضل منه و بإمكانه أن يجني أربعمائة أو خمسمائة روبية في اليوم)

(و ماذا عن الآخر ؟ ماذا سنفعل به ؟)

(إن لم يعطنا مائة روبية كل ليلة سيحرم من العشاء .... حسنا ، أرسلهما إلى محطة القطار الأسبوع القادم ، سنأمرهم بذلك الليلة بعد العشاء)

شعرت بالخوف الشديد مما سمعته قبل قليل ، فتأبطت ذراع سليم و سحبته إلى غرفتنا (سليم ، يجب أن نهرب من هذا المكان ، شئ سيء سيحدث لنا بعد العشاء ، لقد تعلمنا أغاني سورداس لأنه أعمى ، و سنصبح عميانا مثله أيضا ، و نتسول في محطة القطار ، أنا متأكد من أن جميع الأطفال المعاقين هنا تم فقء عيونهم و بتر أذرعهم و سيقانهم من قبل مامان و عصابته)

(و لكن إلى أين سنذهب ؟ ماذا سنفعل ؟)

(أتذكر الممثلة الشهيرة التي حدثنا رادلي عنها ؟ نيلما كوماري ؟ إنها بحاجة إلى خادم ، لدي عنوانها و أعرف القطار الذي سيقودنا إلى منزلها)

(لما لا نذهب إلى الشرطة لنبلغ عنهم ؟)

(هل جننت ؟ سنفر من هنا عبر الحمام ، و أينما ذهبنا لن نذهب إلى الشرطة)

كلانا كان في الحمام ، و حاول سليم فتح النافذة ، سمعنا وقع أقدام حراس مامان يصعدون إلى غرفتنا عبر السلالم ، همست لسليم (أسرع!)

(لا يمكنني فتحه!)

لقد كان خائفا جدا حينما سمعنا وقع أقدامهم يقترب منا شيئا فشيئا قبل أن نتمكن أخيرا من فتحها و تسلقنا عبر السور ساحبا يدي من خلاله ، و بعد خروجنا أنار القمر بنوره كبد السماء في جنح الظلام .

فيما بعد صعدنا إلى القطار المتجه نحو جوهو ، فقابلنا هناك ولدا نحيلا صغيرا ما بين السبع أو الثمان سنوات من عمره يأتي إلى المحطة متكئ على عصاه فاقد البصر حاملا بيده الأخرى وعاء لجمع المال الذي يتسوله من المسافرين ، وقف بالقرب منا و بدأ يغني واحدة من أشهر أغاني سورداس ، و عندما إنتهى من غنائه رفع وعائه للمسافرين الآخرين على متن القطار دون أن يظفر بشيء منهم ، أخرج سليم من جيبه مائة روبية الخاصة ببونوس بعدما هززت رأسي له بالموافقة .

تشجنت يد سميتا (من الصعب أن أصدق أن هناك أناسا بغاية القسوة و الوحشية تجاه الأطفال) ثم ضغطت زر التسجيل مجددا .

نظر بريم كومار مقدم برنامج من سيربح المليار إلى الكاميرا (السؤال التالي بقيمة ألفي روبية ، هل أنت مستعد ؟)

(مستعد)

(أي إله كان المطرب الضرير سورداس يصلي من أجله ؟ ١) رام ٢) كريشنا ٣) شيفا ٤) براهما ؟)

بدأت الموسيقى تعزف

(الإجابة رقم إثنان ، كريشنا)

(إجابة نهائية ؟)

(نعم)

قرعـــت الطبـــول و ظهـــرت الإجابـــة الصـــحيحة علـــى الشاشـــة (إجابتـــك صـــحيحة ، لقد فزت بألفي روبية)

إبتسم بريم كومار دون أن أقابله بالإبتسامة .

الفصل الرابع

ملكة التراجيديا

عملت في منزل نيلما كوماري بجوهو مدة ثلاث سنوات ، بدأ كل شيء عندما أنا و سليم نزلنا من القطار و مشينا الى شقتها و ضربنا الجرس ، و بعد فترة وجيزة ، فتح الباب و وقفت أمامنا إمراة جميلة طويلة القامة (من أنتما ؟)

(نحن من أصدقاء رادلي ، لقد أخبرنا عن مكان سكنك و أنك بحاجة إلى خادم ، أتينا من أجل العمل و بحاجة إلى الطعام و مكان نبيت فيه و نعدك أن نفعل أي شئ تطلبينه منا)

(أحتاج إلى خادم واحد فقط لا أثنين ، فأي واحد منكما أتى إلي من أجل العمل ؟)

أشار سليم إلي (هو يريد العمل عندك)

و هكذا حصلت على العمل .

كانت شقتها تتكون من خمس غرف نوم ، و غرفة نومها الأكبر حجما من بينهن تحتوي على سرير واسع جدا و جهاز فيديو و تلفزيون كبير و دولاب مليء بالمجلات السينمائية حيث تظهر صورها في أغلفتها الأمامية حينما كانت في يوم من الأيام أشهر ممثلة سينمائية في الهند قاطبة .

تعيش معها بنفس الشقة والدتها العجوز التي تبلغ من العمر ثمانون عاما ، إضافة إلى إمراتان خادمتان ، أحداهما تأتي إليهم يوميا لتطبخ لهم العشاء و

الأخرى تقوم بغسل الصحون و أدوات مساء ، أما أنا فأقوم بكل شئ ، أنظف الشقة و أعد الشاي و أقوم بالتسوق ، و لم تكن والدة نيلما كوماري مسرورة بوجودي أو عملي على حد سواء .

أرادت نيلما كوماري مني المجيء و العيش في الشقة حيث كان هناك ثلاث غرف شاغرة ، إلا أن والدتها رفضت ، لذا عشت في السكن العشوائي الفقير بغاتكوبار مع سليم في نفس الغرفة ، أذهب يوميا من هناك إلى الشقة ، حدثتني نيلما كوماري عن صناعة الأفلام السينمائية ، أخذتني ذات يوم إلى غرفة نومها و فتحت دولابها الكبير الحجم المليء بأشرطة الفيديو (هذه أشرطة خاصة بجميع أفلامي ، يبلغ عددها حوالى ١١٥ فيلم)

أشارت بيدها إلى أحد رفوف الدولاب (هذه بعض من أفلامي الأولى ، و معظمها كوميدية ، أما أفلامي العنيفة ففي الرفين التاليين)

ثم أشارت إلى الرفوف الأربعة الأخيرة (هذه جميع أفلامي التراجيدية حيث كانوا يلقبونني بملكة التراجيديا في السينما الهندية ..... و هذا أفضل أفلامي التراجيدية (ممتاز محل) و الذي لعبت فيه دور زوجة إمبراطور الهند المغولي شاه جيهان)

(هل هو أعظم أدوارك ؟)

(نعم ، إنه أعظم أدواري على الإطلاق ..... لكنني يوما ما سألعب دورا أفضل منه)

في تلك الأثناء حدث شئ فظيع ، ماتت والدتها العجوز بعد شهر واحد فقط ، فطلبت مني نيلما كوماري المجيء و العيش في شقتها مجددا ، و من كرمها الحاتمي إستمرت في دفع إيجار سكن سليم كل شهر ، لكنها بدأت تخرج مرارا و تكرارا من المنزل و تعود إليه أحيانا في ساعة متأخرة من الليل ، كنت على يقين من أن ثمة عشيق يزورها بإستمرار في السر و قد يكون زوجها عما قريب ، ذات يوم أخبرتني بأن أبقى في السكن العشوائي غدا لليلة واحدة فقط (لماذا سيدتي ؟)

(لا تسألني هذه الأسئلة ، نفذ ما أقوله لك)

تكرر طلبها لي بمغادرة المنزل ثلاث مرات طيلة الأشهر الثلاثة اللاحقة ، أدركت فيما بعد أن عشيقها يزورها أثناء غيابي من المنزل ، غادرت السكن العشوائي في الساعة السادسة تماما من الصباح الباكر عائدا الى المنزل ، فاذا بي أفأجأ برجل طويل القامة يرتدي بنطال جينز أزرق حاملا بإحدى يديه بعض النقود و بالأخرى مفاتيح السيارة رأيت وجهه من قبل و لكن أين ؟ لم أتمكن من تذكره بالضبط .

وصلت كعادتي إلى المنزل في تمام الساعة السابعة حيث رأيت نيلما كوماري ممددة على الأرض و الكدمات و الجروح تملأ وجهها و السواد عينيها ما

أثـــار خـــوفي عليهـــا و إنصـــدامي لرؤيتهـــا بهـــذا المنظـــر ، فهرعـــت لمســـاعدتها و حملها إلى السرير (ماذا جرى لك سيدتي ؟!!)

(لا تقلـــق علـــي يـــا رام ، لقـــد وقعـــت علـــى الأرض مـــن فـــوق الســـرير و جرحـــت نفسي ، هذا كل ما في الأمر)

لـــم أصـــدق كلامهـــا ، أدركـــت أن الرجـــل الـــذي غـــادر المنـــزل أمـــامي هـــو الفاعـــل ، فيما بعد ، أصبحت نيلما كوماري هادئة طوال الوقت تتصرف بمنتهى الغرابة .

فـــي صـــباح اليـــوم التـــالي ، رأيـــت عيناهـــا ســـودوان مجـــددا مـــن شـــدة الضـــرب (مـــن فعل بك هذا سيدتي ؟)

صـــمتت لبرهـــة (إســـمع يـــا رام ، هنـــاك رجـــل فـــي حيـــاتي ، أحيانـــا أظنـــه يحبنـــي ، و أحيانا أخرى أظنه يكرهني)

(لما لا تتركينه ؟)

(ليس من السهل علي فعل ذلك)

زارهـــا عشـــيقها مجـــددا ، و مـــن حينهـــا ظلـــت ممـــددة علـــى الســـرير تحـــت تـــأثير جرحهـــا الغـــائر أســـفل عينهـــا اليســـرى و الكـــدمات اللاتـــي لطخـــت وجههـــا و بالكـــاد تتكلم بصعوبة (لا بد أن نتصل بالشرطة كي يقبضوا عليه....)

(لا يا رام ، سأكون على ما يرام الآن ، و هذا الرجل لن يأتي إلى منزلي أبدا)

و رغم كل ما حدث ، ظلت على صمتها و هدوئها المريب أكثر من ذي قبل ، فطردت الطباخة ثم الخادمة ، و بقيت أنا خادمها الوحيد في المنزل ، ثم بدأت تعد العدة لأعظم أدوارها السينمائية ، طلبت مني جمع كل الجوائز المحلية و العالمية التي حازت عليها و المجلات السينمائية و فيها صورها التذكارية مرتدية الساري الأبيض على أغلفتها الأمامية ، إرتدت أغلى مجوهراتها و ثيابها التقليدية و زينت وجهها بأفضل مستحضرات التجميل الخاصة و صار بغاية الجمال ، ثم ذهبت إلى غرفة نومها و وضعت شريطا يحمل إسم فيلمها الأثير (ممتاز محل) على جهاز الفيديو و ضغطت على زر التشغيل و تمددت على السرير ، بعد ذلك طلبت مني الذهاب للتسوق ، و عندما عدت من السوق هذا المساء ، وجدتها ممددة على السرير دون حراك متشبثة بأهم جوائزها على الإطلاق ، أخذته من يديها و تأملت ما كتب عليها (الجائزة الوطنية لأفضل ممثلة فازت بها الفنانة القديرة نيلما كوماري عن دورها في فيلم (ممتاز محل) عام ١٩٨٥م)

تأملت جسدها الميت برعب شديد دفعني إلى عدم إبلاغ الشرطة و الفرار من هناك إلى السكن العشوائي الفقير بغاتكوبار خوفا من إعتقالي بتهمة القتل ما أثار إستغراب سليم حول عودتي المبكرة إليه (لما عدت إلى هنا ؟)

(لقد طردتني السيدة نيلما كوماري من المنزل)

(ماذا سنفعل ؟ كيف سندفع إيجار هذه الغرفة ؟)

(لا تقلق ، لقد دفعت إيجار الشهرين القادمين ، و من الآن فصاعدا سنجد عملا جديدا لنا)

حصلت على عمل في مصنع صغير للأدوات المعدنية و الزجاجية ، كنت أخاف كل يوم من قدوم الشرطة إلي و إعتقالي ، لم تذكر الصحف شيئا عن وفاتها إلا بعد شهر واحد فقط من إكتشاف جثتها داخل شقتها حيث ذكرت في خطوطها العريضة أن ملكة التراجيديا الفنانة القديرة نيلما كوماري إنتحرت بالسم ، شكل هذا الخبر المأساوي صدمة شديدة الوقع على قلبي مهما حييت .

هزت سميتا رأسها حزنا عليها (يا للفظاعة ، لقد رأيت فيلمها (ممتاز محل) ....)

(هل سنتحدث عن نيلما كوماري أم المسابقة ؟)

ضغطت سميتا زر التسجيل (حسنا سيد توماس ، ها هو سؤالنا بقيمة عشرة آلاف روبية ، في أي عام فازت ملكة التراجيديا نيلما كوماري بالجائزة الوطنية لأفضل ممثلة ؟ هل في عام ١) ١٩٨٤م ٢) ١٩٨٨م ٣) ١٩٨٦م ٤) ١٩٨٥م ؟)

(أعرف الاجابة ، انه رقم ٤ ، ١٩٨٥م)

(ماذا ؟!!) تفاجأ بريم كومار مقدم البرنامج بإجابته السريعة و نسي أن يقول له كالعادة (جواب نهائي) أم لا .

قرعت الطبول و ظهرت الإجابة الصحيحة على الشاشة (إجابتك صحيحة ، لقد فزت بعشرة آلاف روبية) .

الفصل الخامس

قصة الجندي المجهول

سمعنا صوت غارة جوية و دوت على إثرها صفارات الإنذار في الثامنة و النصف و نزل جميع ساكنو السكن العشوائي إلى المخبأ السفلي الكائن تحت المدرسة خوفا على أرواحهم ، و كان من بينهم جوخالس و عائلة نينيس و عائلة باباتس و السيد واجل و السيد كولكارني و السيد شيروكي و زوجته السيدة بارو ، و عندما نزلنا إليه وجدنا هناك القليل من الكراسي و طاولة صغيرة عليها تلفزيون صغير ، و على الرغم من حرارته العالية شعرنا بالأمان داخل جدرانه الإسمنتية الصماء .

مضت ثلاثة أيام على إندلاع الحرب و جميعنا مازال في المخبأ حيث قضت النساء وقتهن بالحديث فيما بينهن ، بينما ظل الرجال يشاهدون الأخبار بإنتباه من على شاشة التلفزيون ، أما الأطفال و لا سيما أنا فلم نتوقف عن الركض و الصراخ و لعب ألعاب الحرب (إنها ممتعة جدا ، لقد منحني رئيسي في العمل عطلة أسبوع بأكمله بسبب الحرب)

شاطرني بوتول الرأي (و أنا أيضا ، مدرستي مغلقة لمدة أسبوع)

بادلنا ديانيش نفس الشعور (أتمنى أن تحدث كل شهر)

(لا تكن غبيا ! الحرب شئ خطير ، لا ينجو من سعيرها أحد) صرخ علينا من الخلف أحد الأشخاص القابعين في ركن بعيد عنا حيث إلتفتنا إليه و رأيناه

رأي العين ، ففوجئنا بأنه عجوز طويل القامة نحيل الجسم بساق واحدة ، عرفنا فيما بعد أنه كان ضابطا متقاعدا في الجيش الهندي و إسمه بالوانت سينغ ، سأله السيد واغلي (في أي حرب شاركت فيها ؟)

(في حرب ١٩٧١م[١] ، و هي أخر الحرب الحقيقية بين الهند و باكستان ، أتريدون سماع قصتي ؟)

جلسنا جميعا حول الجندي العجوز بعد أن أطفأ السيد واغلي التلفزيون ، بدأ بالحديث عن مشهد مازال عالقا في مخيلته خلال الحرب المذكورة (إندلعت الحرب في الثالث من ديسمبر عام ١٩٧١م ، و قبيل أن تبدأ ، بعثت زوجتي رسالة لي تخبرني من خلالها أن طفلنا الثالث سيرى النور عما قريب "سأصلي من أجل سلامتك" ، هكذا كتبت في نهاية الرسالة ، أثناء تلك الليلة ، شن الطيران الباكستاني العديد من الغارات الجوية على مطاراتنا العسكرية الواقعة في قرية تشهامب الحدودية شمال البلاد حيث مقر لوائنا الذي تعرض لهجوم قواتهم البرية المباغت لنا في نفس الوقت ، حينها كنت في المخبأ السفلي للمعسكر بمعية ثلاثة من زملائي و هم سوخفيندير سينغ و راكيشوار و كارنيل سينغ ، و كان كارنيل سينغ الأفضل بيننا جميعا لا يخاف الوغى و لا يهاب الموت ما عدا خشيته الشديدة من أن تدفن جثته في التراب ، فلقد جرت العادة لدى الجنود الباكستانيين حينما يجدون جثث نظرائهم الهنود بألا يعيدوهم إلينا بل يقومون بدفنهم في باكستان حسب الشعائر الإسلامية و

[١] تعرف في الأدبيات الهندية بحرب تحرير بنغلاديش من الإستعمار الباكستاني (المؤلف) .

ليس بحرقهم حسب شعائرنا الهندوسية ، قال لي وقتها "سيد بالوانت ، لو مت عدني بإحراق جثتي" ، فرديت عليه بأنه لن يموت أبدا رغم أني قطعت له وعدا بإحراق جثته في حال وفاته ، بدأ العدو يقصف مواقعنا بالصواريخ في منتصف الليل ، و بدأنا نتسلل بهدوء و خط مستقيم نحوهم ، و فجأة إنفجرت إحدى الصواريخ القابعة خلفنا فتسببت في مقتل راجيشوار و سوخفيندير سينغ و جرح كارنيل في بطنه و إصابتي بجروح طفيفة ، تحدثت إلى قائدنا عبر اللاسلكي و أخبرته بما جرى "هاجم العدو معسكرنا بالصواريخ" ، رد علي قائلا " لا أستطيع إرسال المزيد من الجنود إليكم يا بالوانت ، حاول تدمير منصة الصواريخ التابعة لهم " ، أخبرت كارنيل بالأوامر الجديدة "سأقترب من معسكر الأعداء يا كارنيل ، علينا أن ندمر منصة الصواريخ التابعة لهم" ، " لكنك ستقتل لامحالة يا بالوانت ، دعني أتولى هذه المهمة ، أنت لديك زوجة و إبن عكسي أنا تماما ، لا تنسى وعدك الذي قطعته لي " ، و قبل أن أرد عليه سحب البندقية مني فجأة و إندفع نحوهم مرددا بأعلى صوته "تحيا أمنا الهند!")

سأله سيد واغلي (ماذا حدث له سيد بالوانت ؟)

(قتل ثلاثة من جنود العدو المحيطين بمنصة الصواريخ قبل أن يلقى مصرعه عبر قذيفة طائشة هشمت جسده الصغير ، تجمدت في مكاني مدة ساعتين تقريبا دون أن أقترب من جثته الممددة قرب المنصة ، و ما لبثت أن تذكرت وعدي له ، لكني لم أكن أعرف عدد الجنود الباكستانيين المحيطين بها ؟

توقف إطلاق النار بين الطرفين و ساد الهدوء أرجاء المكان ، فإنتهزت الفرصة و تسللت ببطء نحو منصة الصواريخ على بعد ٦٠ أو ٧٠ متر ، و فجأة سمعت وقع أقدام تقترب مني أكثر فأكثر كانت لجندي باكستاني ضال جلس على مقربة ثلاثة أمتار و نصف مني ، و ما إن أشعل سيجارته حتى ركضت نحو ضوئها المشتعل و إلتففت حول صاحبها الذي رأى بندقيتي مصوبة نحوه ، فأوقع بندقيته على الأرض رافعا يديه إلى أعلى" رجاء! لا تقتلني !"، "كم عدد الجنود الباكستانيين المتواجدين هنا ؟" ، "لا أعرف ، أنا تائه ، حاولت عبثا أن أرجع الى بلدي ، أرجوك لا تقتلني !"، " أنت من جنود العدو "، " لكني رجل عادي أيضا ، مثلك تماما ، لدي زوجة و طفلة رضيعة ، لقد ولدت منذ عشرة أيام ، و لا أريد أن أموت دون أرى وجهها ..."، " و أنا أيضا لدي زوجة و إبن رضيع ولد حديثا ..... لو كنت مكاني ماذا ستفعل ؟" ، "سأقتلك بالطبع" ، " أصبت ! فكلانا جندي يحارب العدو أيا كان ، لكني أعدك بدفن جثتك حسب شعائركم الإسلامية " ، ثم قتلته بهدوء بعدما ذبحته بسكيني العسكري ذبح البعير)

أغلقت سيدة داملا عيناها من الحزن الشديد (هذا فظيع ! فظيع !)

(الحرب فظيعة يا سيدتي)

(ثم ماذا حدث بعد ذلك سيد بالوانت ؟)

(حملت جثة زميلي كارنيل يا سيد واغلي إلى قائدنا و أحرقنا جثته في الصباح الباكر ليقلدوني على إثرها وسام الشجاعة (إم . ڤي. سي)

(و ما هي إم. ڤي. سي هذه ؟)

(إنها يا ديانشي الأحرف الأولى من كلمات ماها. ڤير. تشاكرا ، و هي من أرفع الأوسمة العسكرية للشجاعة التي تمنح لضباط و جنود و قادة القوات المسلحة الهندية ، أما أرفع وسام عسكري هندي فهو پي. ڤي. سي أو پرام ڤير تشاكرا)

(و هل حصلت عليها ؟)

(كلا يا ديانشي ، لم أحصل عليها أبدا ، لكن قصتي لم تنته بعد ، لابد أن أحدثكم عن جسر مانديالا)

نظر سيد واغلي إلى ساعته (لدينا متسع من الوقت هذه الليلة كافية للإستمتاع بحديثك الشيق)

(في صباح اليوم التالي ، عدنا إلى معسكرنا مجددا ....)

خلال روايته لأحداث الحرب ظهر بعض المحللين السياسيين و العسكريين على شاشة التلفزيون يتحدثون عن الحرب الجارية قبل أن يطفئه سيد كولكارني غاضبا (بدلا من حديثهم العقيم هذا ، فليستمعوا إلى بطلنا المغوار بالوانت سينغ ، حدثنا عن موقعة جسر مانديالا)

بدأ بالوانت سينغ مسرورا لمديحه (عرفنا أن الباكستانيين يحشدون قواتهم بغية الإستيلاء على جسر مانديالا ، فلو تحقق مرادهم هناك فسيجبروننا على التخلي عن مواقعنا في تشهامب و غرب تاوي ، فهاجمتنا دباباتهم و أطلقت

علينا القذائف المتتالية من تحتنا عند تمام الساعة الثالثة فجرا من صباح الخامس من ديسمبر عام ١٩٧١م بالتزامن مع الغارات الجوية التي شنها طيرانهم الحربي ضدنا من فوق و تسببت بقتل قائدنا و بعض من زملائنا ، و إستمر القتال حتى صباح اليوم التالي و ينتهي بإنتصار الجيش الباكستاني حيث رفرف علمه الأخضر لأول مرة على جسر مانديالا ، بعد ذلك وصل قائد الكتيبة ٣٦٨ الى معسكرنا قادما من أنكنور و تفقد المكان و الجثث المترامية في أرجاء المعسكر ، و من ظل على قيد الحياة لاذ بالفرار ، سألني قائد الكتيبة ملؤه الإستغراب "ماذا حدث يا بالوانت سينغ لرجالنا ؟! أين هم ؟!!" ، "هربوا جميعا ما عداي أنا ، سأقاتل إلى جانبك يا سيدي حتى النهاية" ، "أحسنت يا بالوانت ، أنت جندي رائع" ، عندما بدأ القتال مجددا ، إكتظ جسر مانديالا بالنيران الكثيفة ، أحاط الرصاص بنا من كل جانب ، و رغم كل شيء تمكنا من الإقتراب من معسكرهم و هاجمناه بضراوة ، فأطلقنا عليهم وابلا من الرصاص و قتلنا العديد من جنودهم ما دفعهم إلى إجتياح دباباتهم لنهر تاوي ، فأمرنا قائد الكتيبة بإيقاف زحفهم نحونا ، إلا أن الدبابات الباكستانية واصلت إجتياجها للجانب الآخر من جسر مانديالا ، و على إثر ذلك ترك إثنان من جنودنا دباباتهم و لاذوا بالفرار ، فصعدت إلى إحداهما و بدأت بقيادتها فورا و الإقتراب منها رغم قذائفها المنهمرة علي ، و عندما إنسحبت إحداهن من أمامي و حاولت الفرار طاردتها و قصفتها بقذيفة مباشرة دمرتها و حولتها إلى حطام ، و مضيت في مطاردة آخر دبابة باكستانية حتى قصفتها بالقذائف النارية و تحطيمها عن بكرة أبيها ، و

أضحت جميع دباباتهم هباء منثورا ، لكن منصة الصواريخ التابعة لهم مازال متمركزة في قلب الجسر و علمها الباكستاني الأخضر يرفرف فوقه فأثرت الإنسحاب ، ثم إلتففنا من حول الجانب الباكستاني و بدأنا بإطلاق النار عليه من الخلف و قتلنا أربعة من جنوده على بعد عشرة أمتار ، و أطلقت القذيفة الرابعة عليهم و أنا على يقين من عدم إمتلاكي لأية ذخيرة ، فأغتبط الجنود الباكستانيين لذلك و بدأوا بإطلاق وابل من الرصاص المنهمر على أدت إلى إصابة ساقي اليسرى ، فسقطت على الأرض ، فصوب أحدهم فوهة بندقيته على صدري ، و شعرت بدنو أجلي فأكثرت من الصلاة ، و ما إن حاول أن يطلق الرصاص علي حتى أدرك أنها فارغة ، فصرخ و لاذ بالفرار قبل أن أقف و أضربه بعقب بندقيتي على رأسه فيسقط على الأرض مغشيا عليه دون حراك ، و أخيرا أنزلت علم العدو الأخضر و من مكانه و إستبدلته بالعلم الهندي ، لقد كانت من أسعد اللحظات في حياتي)

توقف بالوانت سينغ عن الكلام بعدما إغرورقت عيناه بالدموع ، بقينا دون حراك مدة دقيقة واحدة ، ثم ما لبث أن سأله ديانيش نفس السؤال مجددا (هل منحوك وساما على ذلك ؟)

(لم يمنحوني أي شئ)

صمتنا مجددا ، و فجأة و بدون سابق إنذار مر الأطفال من أمام بالوانت سينغ يصافحونه بحرارة بالغة تقديرا لشجاعته و بطولاته العسكرية إبان الحرب ما دفعه لذرف دموع الفرح و خروجه بسرعة من المخبأ بساقه اليتيمة .

و في اليوم التالي ، قدم إلى السكن العشوائي رجل رفيع المستوى يجمع منا التبرعات العينية و النقدية لصالح جمعية الجنود الهنود الخيرية (إن جنودنا البواسل يقومون بعمل عظيم في سبيل بلادنا العظيمة و رئيس وزرائنا العظيم و شعبنا العظيم ، و المال الذي تتبرعون به سيفيدهم فائدة عظيمة لامثيل لها)

مر علينا جميعا ما عدا بالوانت سينغ حاملا بين يديه صندوقا صغيرا كي نضع تبرعاتنا فيه ، في تلك الأثناء سأل سيد كولكارني الرجل الوافد علينا من جمعية الجنود الهنود (سيدي ، هل شاركت في حرب ١٩٧١م)

(بلى ، في تشهامب)

(هل حصلت على أية أوسمة عسكرية من الدرجة الأولى؟)

(نعم ، لقد كنت قائدا للجيش الهندي في جسر مانديالا)

(أي نوع من الأشخاص أنت ؟ تحصل على الأوسمة العسكرية لنفسك و تحرمها عن الرجل الذي حرر جسر مانديالا من الجيش الباكستاني ؟)

(أنا لا أفهم عما تتحدث يا هذا ؟)

(عن بطلنا المغوار بالوانت سينغ أحد أبطال حرب ١٩٧١م)

ثم أخبره سيد كولكارني عن بالوانت سينغ و قصته الحزينة (و أين هذا الجندي العظيم يا سيد كولكارني ؟)

أرشدناه إلى غرفة بالوانت سينغ و تركناهما بمفردهما فيما آثرنا انتظارهما في الخارج ريثما ينهيان حديثهما الخاص ، لكننا سرعان ما سمعنا صراخهما العالي بعدما إحتدا في الكلام بينهما ، و فجأة و من دون سابق إنذار خرج رجل الجمعية غاضبا جدا من غرفة بالوانت صارخا في وجوهنا (حاشا أن يكون هذا الرجل بطلا مغوارا ، لقد فر من أرض المعركة خلال حرب ١٩٧١م في تشهامب ، و مصيره أمثاله معروف السجن ، كل ما رواه لكم عن الحرب كذب في كذب ، دعوني أخبركم بقصته الحقيقية ، عندما ولد مولوده الأول أثناء تلك الحرب ، أراد البقاء مع عائلته بشتى الوسائل إلى أن فر من أرض المعركة متجها صوب منزله في باثانكوت حيث إختبأ هناك ، و بعد يومين فقط من وصوله إلى المنزل سقطت قذيفة مدفعية باكستانية عليه و تسببت بقتل زوجته و إبنه الوحيد و بتر إحدى ساقيه)

أنهى الرجل القادم من جمعية الجنود الهنود الخيرية حديثه الغاضب معنا و رحل من فوره عنا دون أن ينبس بأدنى شفه .

لم يخرج بالوانت سينغ من غرفته كعادته هذا المساء ، و عندما ذهب سيد كولكارني للبحث عنه في صباح اليوم التالي إذا به يجد غرفته خالية الوفاض منه و ثيابه ، فلقد غادر سكننا العشوائي إلى غير رجعة .

بدت سميتا بغاية الجدية و الإنتباه معي (أين كنت خلال هذه الحرب ؟)

(في بومباي)

(لنر السؤال التالي بقيمة خمسين ألف روبية ، هل أنت مستعد له سيد توماس ؟)

(مستعد سيد بريم كومار)

(ما هو أرفع وسام عسكري يمنح للقوات المسلحة الهندية ؟ هل هو ١) ماها ڤير تشاكرا ، أم ٢) پرام ڤير تشاكرا ، أم ٣) شوريا تشاكرا أم ٤) أشوك تشاكرا ؟)

أدركت حينها عدم تصديق الجمهور لقدرتي على الإجابة ، نظروا إلي بحماس شديد ملؤه الترقب الحذر حيث تمكنت من رؤية وجوههم المتلهفة لرحيل هذا النادل الفقير من البرنامج إلى الأبد قبل أن أخيب ظنهم في آخر لحظة (الإجابة رقم (٢) ، پرام ڤير تشاكرا)

(جواب نهائي أم مجرد تخمين ؟!!)

(جواب نهائي)

قرعت الطبول مجددا ، و ظهرت الإجابة الصحيحة على الشاشة (إجابتك صحيحة ، و لقد حصلت على خمسين ألف روبية)

الفصل السادس

وعد الأخ لأخته

ذات يوم ، سمعت أصوات غريبة بالقرب منا ، لقد إنتقل جيران جدد حديثا إلى الغرفة الملاصقة لغرفتنا ، و من بين الأصوات التي سمعتها صوت مدير السكن العشوائي السيد راما كريشنا ينادي حيث كان يجبرنا على التسول من الآخرين في حال عدم قدرتنا على دفع الإيجار له رغم إهتمامه الشديد بعمارتنا السكنية المتواضعة أيما إهتمام ، طلبنا منه مرارا و تكرارا تصليح السياج الخشبي في الطابق الأول بعدما أضحى هشا و قابل للكسر في لحظة و لكن لا حياة لمن تنادي .

خرجت من غرفتنا نحوه يتحدث مع الجيران الجدد و تحديدا مع رجل قصير القامة يبلغ من العمر خمسون عاما (توماس ، هذا السيد شانترام ، سيقيم مع زوجته و إبنته في الغرفة المجاورة لغرفتكم)

تأملتهم من خلال غرفة شانترام ، كانت إبنته الأكبر مني في العمر و ذات الشعر الطويل الأسود اللون تجلس على السرير بجوار والدتها ذات الشعر الرمادي اللون ، ما إن رآني سيد شانترام أتاملهم حتى أوصد الباب في وجهي بسرعة خاطفة ، سألته (ماذا تعمل سيدي ؟)

(أنا عالم فلك ، لكني في الوقت الراهن أدير دكانا ، لن نبقى هنا طويلا ، سننتقل قريبا إلى شقة رائعة للغاية في محور ناريمان)

عرفت فيما بعد أن السيد شانترام كان يكذب علي ، فأمثاله من الناس القادرين على العيش في محور ناريمان لا يسكنون أبدا في المساكن العشوائية ، كانت الجدران الفاصلة بين الغرف داخل السكن العشوائي جد شفافة ، فحينما تضع كوبا قبالة الحائط واضعا أذنك عليه يمكنك أن تسمع كل ما يدور في الغرفة الأخرى المقابلة لك ، غالبا ما كنت و سليم نقوم بالأمر ذاته مع جيراننا الجدد منذ الليلة الأولى لمجيئهم الينا ، وضعت الكوب على الحائط و تمكنت من سماع صوت سيد شانترام الغاضب جيدا (هذا المكان لا يليق بي ، هناك ولدان من أولاد الشوارع يقطنان بالقرب منا .....غوديا ، لا تتحدثي مع واحد منهما و إلا ضربتك ، هل تفهمين ؟)

صدمني ما سمعته لتوي من كلامه المخيف إلى حد إسقاط الكوب من يدي رغما عني من هول الموقف .

مر أسبوعان على مجيئهم إلى السكن العشوائي ، رأيت خلالهما السيد شانترام مرتين أو ثلاث مرات دون أن أرى زوجته و إبنته بتاتا ، و عندما عاد إلى المنزل قادما من العمل حيث بقوا برمتهم داخله .

حل منتصف الليل في الساعة التاسعة تماما على غرفتنا المتواضعة حيث إنشغل سليم بمطالعة المجلات السينمائية و أنا بإستراق السمع كعادتي من الغرفة المجاورة حيث كان السيد شانترام يخاطب إبنته (أنظري من خلال التلسكوب ، أيمكنك رؤية شيئا براقا أحمر اللون في كبد السماء ؟ إنه كوكب المريخ)

(بسرعة يا سليم ، خذ كوبا و إسمع هذا)

وضع سليم كوبا على الحائط الشفاف و ظللنا مدة ثلاثين دقيقة متواصلة نستمع معا لحديثه الشيق عن كل شيء يتعلق بالنجوم و الكواكب .

بعد أسبوع ، سمعنا صوتا غريبا جديدا علينا صادر من الغرفة المجاورة يقول مياو ، فأسرعت بإستراق السمع مرة أخرى منصتا لحديث غوديا مع والدها (أبي ، أنظر ، لقد وجدت قطة صغيرة الحجم للغاية في الجوار ، هل بإمكاني الإحتفاظ بها ؟)

(حسنا لك هذا ، سأسميها بلوتو ، أصغر الكواكب في مجموعتنا الشمسية)

ربما السيد شانترام ليس سيئا كما ظننت ، هكذا أقنعت نفسي آنذاك .

مساء ذلك الحين ، لم نكن بحاجة لأقداحنا كي نسمع صراخه العالي في وجه زوجته و إبنته ، قذف بالكتب عرض الحائط ، ثم بدأ بتكسير الأكواب و الأقداح و الصحون ، كلانا أضحى مرعوبا منه ، و لم نشعر بالراحة إلا عند ذهابه إلى النوم .

سمعنا المزيد من تصرفاته المرعبة تلك ، هرولت زوجته نحونا طالبة مني إحضار سيارة أجرة لنقل إبنتها غوديا إلى المستشفى .

بعد يومين من الحادثة ، طلبت مني زوجته زيارة غوديا (إنها تشعر بالوحدة ، علك تتمكن من التحدث إليها)

و هكذا ذهبت معها لزيارة إبنتها غوديا في المستشفى ، و في الطريق أخبرتني بما جرى البارحة حيث رمى زوجها كوبا مغليا من الشاي عليها ، و كيف حاولت إبنته أن تحول بينهما ، لكن كوب الشاي أحرق وجهها المغطى حاليا بالضمادات حيث لم أر سوى عينيها (أنظري يا غوديا من أتى لرؤيتك ؟ إنه رام محمد توماس)

شعرت بالإرتياح الشديد عندما رأيت عيناها تبتسمان لي ، عرفت من خلالهما بأنها مسرورة لرؤيتي ، مكثت معها ثلاث ساعات متواصلة دون أن نمل من الحديث معا في أمور مختلفة ، أخبرتها عن عملي في المصنع و هي بدورها حدثتني عن إلتحاقها بالجامعة في العام المقبل .

حاولت السيدة شانترام أن تبرر لي تصرفات زوجها العنيفة (لقد كان عالم فلك مشهور حيث عمل في معهد الأبحاث الفضائية ، درس حركة النجوم و الكواكب من خلال مراقبتهم عبر التلسكوب ، و قبل ثلاثة أعوام إكتشف كوكبا جديدا عد أهم إكتشاف علمي آنذاك ، لكن عالما آخر سبقه إلى هذا الإكتشاف ، بعد ذلك أضحى زوجي عصبي المزاج ، فبدأ بالدخول في صراعات و مشاكل مع زملائه من علماء المعهد إلى أن إستقال من عمله ، و منذ ذلك الحين عمل قدر المستطاع في عدة مهن مختلفة)

(هل يمكنني مساعدتك يا غوديا ؟)

(أرجوك يا رام ، إهتم ببلوتو ريثما أعود)

(بالطبع سأفعل)

أمسكت غوديا بيدي (أنت بمثابة أخي)

لم أعرف حينها ماذا أقول لها ، لكني تشبثت بكلتا يديها ، أخبرت سليم بشعوري نحوها (أحب غوديا حبا جما ، لابد من إيقاف السيد شانترام عند حده كيلا يؤذها مجددا)

(و ماذا بإمكانك فعله يا رام؟ إنها عائلته .... تذكر ، ليس من الأفضل لك التدخل في شئون الأخرين ، مفهوم ؟)

لم أجب حينها عن سؤاله فلذت بالصمت .

ما لبثت غوديا أن تركت المستشفى عائدة إلى منزلها دون رؤيتها مجددا حتى سمعت صراخها و بكائها بعد أسبوع ، حينها عرفت ما يتوجب على أخ يساعد أخته أن يفعله ، فأدخلت يدي من خلال فتحة صغيرة أسفل الحائط الفاصل بيننا و أمسكت بيدها لمواساتها (أختاه ، لا تبكي ، أمسكي بيدي)

و ما إن أمسكت بيدي حتى إنتابني على الفور إحساس جارف بالحب نحوها إلى حد أني أضحيت جزءا منها قادر على الشعور بآلامها كما لو كانت آلامي ، كان سليم آنذاك يراقبني واصفا تصرفي هذا بالجنون و التهور .

و في مساء اليوم التالي ، عاد شانترام الى منزله غاضبا كعادته و صرخ في وجه زوجته و إبنته و أرعبهما ، عندما سمعت صراخ غوديا و بكائها بحرقة من

شـــدة الألـــم ركضـــت نحـــو غرفـــة الســـيد رام كريشـــنا صـــاحب الســـكن العشـــوائي مستنجدا به (سيد شانترام عاود ضرب زوجته و إبنته مجددا)

(لا يمكننا أن نتدخل يا رام ، إرحل و دعني أنام)

و مـــا إن عـــدت مســـرعا إلـــى غرفتـــي حتـــى نـــام شـــانترام لتـــوه ، فأدخلـــت يـــدي مـــرة أخـــرى مـــن خـــلال فتحـــة الحـــائط إياهـــا حيـــث تشـــبثت غوديـــا بهـــا (إذا ضـــربني والدي مجددا سأقتل نفسي)

(لن يؤذيك مجددا ، هذا وعد من أخيك أقطعه أمامك)

و فـــي مســـاء اليـــوم التـــالي ، عـــاد الســـيد شـــانترام مـــن عملـــه و تســـلق الـــدرج إلـــى الطـــابق الأول ، و عنـــدما إقتـــرب مـــن الســـياج الخشـــبي الهـــش حيـــث ركضـــت نحـــوه مـــن الخلـــف و دفعتـــه صـــوب الســـياج بكـــل قـــوتي إلـــى أن حطمـــه و ســـقط إلـــى الـــدور الأرضي منكفئا على وجهه دون حراك .

فجـــاة ، أدركـــت مـــا صـــنعته للتـــو ، لقـــد قتلتـــه ! و الشـــرطة ســـتعتقلني و تشـــنقني مـــن أجـــل ذلـــك ، لـــم أنتظـــر دقيقـــة واحـــدة و فضـــلت الهـــرب علـــى تســـليم نفســـي للشـــرطة متجهـــا نحـــو محطـــة القطـــار دون توديـــع أفضـــل أصـــدقائي ســـليم أو شـــقيقتي الجديـــدة غوديـــا عائـــدا إلـــى المدينـــة الوحيـــدة التـــي أعرفهـــا جيـــدا منـــذ نعومـــة أظافري ألا و هي نيودلهي .

ظلت سميتا صامتة أثناء روايتي لهذه القصة قبل أن تتسرب الدموع من عينيها ، لعل هذا الشعور نابع من كونها إمراة قادرة على الإحساس بمعاناة غوديا و آلامها (لنر السؤال التالي سيد رام)

ضغطت على زر التسجيل ، بدأ مقدم البرنامج بريم كومار يتحدث عن السؤال القادم بقيمة مائة ألف روبية و المتعلق بعلم الفلك (ما هو أصغر كوكب في المجموعة الشمسية ؟ ... هل هو ١) بلوتو ؟ أم ٢) المريخ ؟ أم ٣) نبتون ؟ أم ٤) عطارد ؟)

(الإجابة رقم واحد ، بلوتو)

(بلوتو ؟)

(نعم ، الإجابة هي بلوتو)

(جواب نهائي ؟)

(نعم)

قرعت الطبول مجددا ، و ظهرت الإجابة الصحيحة على الشاشة (إجابتك صحيحة ، لقد فزت بمائة ألف روبية) .

الفصل السابع

كيف تتحدث الأسترالية ؟

كان الكولونيل تايلور البالغ من العمر ٤٦ عاما يعمل ملحقا عسكريا لدى السفارة الأسترالية في الهند ، يقطن مع زوجته ريبيكا ذات الأربعة و الأربعين عاما و ولدهما روي البالغ من العمر ١٦ عاما و إبنتهما الجميلة ذات العينين الزرقاوين ماغي و لم تجاوز عمرها ١٧ عاما .

لقد كان جميعهم بغاية اللطف معي ، فما من أحد تم توظيفه لديهم بسهولة بمجرد قدومه من بومباي إلى منزلهم الفخم ، لقد كنت محظوظا جدا ، فسرعان ما تم تعييني خادما عندهم لحاجتهم الملحة لذلك إثر طرد آخر خادم لديهم ، فخلال مدة إقامتي الوجيزة في منزلهم و التي لم تزد عن خمسة عشر شهرا تم فصل أكثر من سبعة خدم من وظائفهم ، و السبب يعود إلى الكولونيل تايلور ذو الحاسة السادسة أو أبو العريف .

فما إن سرق البستاني جاديش النباتات من حديقة المنزل حتى علم الكولونيل تايلور بذلك و فصله من العمل في اليوم التالي ، و ما إن سرقت الخادمة شيلا عقدا من غرفة زوجته و إكتشف أمرها في بضع ثوان فطردت في الحال ، الأمر ذاته حدث مع الطباخ راجو حينما شرب ذات مرة من شراب الويسكي الخاص به ليطرد من عمله بعد لحظات ، و كذلك حصل مع خلفه الجديد راجاي الذي سعى إلى سرقة بعض النقود من غرفته بعدما أخبر صديقه و شريكه في الجريمة بذلك عبر الهاتف قبل أن يتم إعتقالهما من قبل الشرطة

في اليوم التالي ، أما الخادمة الجديدة لزوجته باسانتي ما إن وضعت يدها على فساتين إبنته ماغي محاولة سرقتها حتى فصلت من عملها على الفور .

كيف أدرك الكولونيل تايلور خفايا هذه الأمور التي تدور وراء الأبواب المغلقة بلمح البصر ؟! في منتصف الليل أم عبر الهاتف ؟!! ما من أحد فينا قادر على إستيعاب هذا السر الغامض للغاية ما عدا أنا و الخادمة الجديدة شانتي اللذان تمكنا من الدخول الى غرف نوم أفراد عائلة الكولونيل تايلور إلا مكتبه المعروف بالمخزن ، و هو عبارة عن غرفة صغيرة الحجم بمحاذاة غرفة نومه يتصدرها باب خشبي ثقيل ذو ثلاثة أقفال ، و لا يسمح لأحد غيره بدخوله حتى و لو كان زوجته أو ولديه روي و ماغي .

لقد ساعدتني فترة إقامتي لدى آل تايلور في نسيان كافة الأمور الموجعة لقلبي التي حدثت لي في بومباي ، من بينها ما يتعلق بالسيد شانترام و إبنته غوديا التي مازلت أفكر بها أو الممثلة السينمائية الشهيرة نيلما كوماري ، أو شعوري بالذنب حيال سليم الذي تركته خلفي بمفرده لخشيتي الشديدة على نفسي في حال إذا إتصلت به أو بعثت له برسالة عن مكاني الجديد .

و قد تعلمت بسرعة أن أتقبل و عاداتهم و تقاليدهم الأسترالية ، لكني وجدت صعوبة بالغة في محادثتهم بالإنجليزية على الطريقة الأسترالية حيث كنت أردد في غرفتي كل مساء كلماتهم العجيبة المثيرة للضحك منها بيني و بين نفسي (صاباح الخيير و زامييل و أراك في الساعة الثامينة عوند باوابة الهوند)

كان روي و ماغي يقتنيان الأعداد الشهرية من مجلة (الجغرافيا) الأسترالية المليئة بالصور و الأماكن المدهشة في أستراليا ، لم يكن بجعبتي الكثير من الأعمال المنزلية الشاقة ، فرامو الطباخ الجديد يعتني بأمور المطبخ ، و شانتي ترتب الأسرة و تغسل الملابس ، أما أنا فأنظف المنزل و أساعد البستاني الجديد بغاواتي في الحديقة ، يعيش العاملون في المنزل موزعين على ثلاث غرف متجاورة معا ، إحداهما واسعة للغاية و الأخريان صغيرتا الحجم ، عاش بغاواتي في الغرفة الكبيرة مع زوجته و إبنه ، و عاشت شانتي بمفردها في الغرفة الثانية ، و تقاسمت مع رامو السكن في الغرفة الثالثة .

لقد كان زميلي في السكن راموا طباخا ماهرا و رجلا رائعا للغاية مما جعل شانتي مهووسة بحبه على الرغم من وقوعه في حب إمراة أخرى دون أن يصرح بإسمها فهو سر بالنسبة له ، إلا أنه لمح لي عن مواصفاتها بأنها فتاة جميلة جدا بعينيها الزرقاوين و شعرها الأشقر .

لم يعطني الكولونيل تايلور كامل مرتبي حيث دفع لي فقط حوالى خمسين روبية عن كل شهر ، و وعدني بإعطائي باقي المرتب بعد إنتهاء فترة عملي لديهم ، لقد أصبح في حوزتي مائة روبية ، و لو أضفنا ما تبقى من الراتب إليه سيكون المجموع حوالى ٢٢،٥٠٠ روبية بالتمام و الكمال .

كنت أحلم كل ليلة بزيارة الأماكن التي رأيتها في مجلة (الجغرافيا) الأسترالية ، إشتريت ٣٠ عددا من هذه المجلات من عند الرجل الذي يجمع المجلات و الصحف اليومية من آل تايلور التي لم يعودوا بحاجة إليها .

مر منتصف الليل بسرعة و مازال رامو مستيقظا لم ينم بعد (ما الأمر يا رامو ؟)

(كيف أنام يا توماس و أنا مازلت أفكر بفتاتي الجميلة ؟....)

(أيها الغبي ! لو سمعك الكولونيل تايلور لطردك من العمل)

إبتسم رامو أمامي و وضع في يدي صورة فوتوغرافية لماغي ، فصرخت من هول المفاجأة (يا إلهي ؟! من أين حصلت عليها ؟!!)

(أخذتها من غرفتها خلسة ، عدني يا توماس بألا تخبر أحدا بالموضوع)

بعد يومين فقط ، وصلت الشرطة إلى منزل آل تايلور و جروا رامو من المطبخ إلى غرفتنا حيث فتشوها كل ركن منها و وجدوا فيها النقود و عقد الألماس المسروق في سريره و أعداد من مجلة الجغرافيا الأسترالية في إحدى زواياها ، و صورة ماغي في سريري ! كيف وصلت إلى هناك ؟!! لا أعرف ، المهم أنهم إعتقلوني على الفور و أخبروا الكولونيل تايلور بما جرى (سيدي الكولونيل ، أخبرتنا عن لص واحد فقط حيث وجدنا عقد الألماس و النقود المسروقة في سريره ، لكن أنظر إلى هذه المجلات !) أوقعها على الأرض جميعا مشيرا إلي (و وجدنا هذه الصورة معه !)

ما إن رأتها ماغي حتى بكت و صرخت و شعر رامو بالإعياء الشديد ، بدأ الكولونيل يشتعل من الغضب ، صرخت زوجته علينا (آه منكم أيها الهنود ! نطعمكم فتسرقوننا ؟! أهذا جزاء المعروف ؟!!! ....)

(كلا يا ريبيكا ، توماس لم يسرق هذه الأشياء ، لقد أخفى رامو صورة إبنتنا ماغي في سريره ، أعلم ذلك)

و مرة أخرى إستخدم الكولونيل تايلور حاسته السادسة في معرفة المجرم الحقيقي ، لقد إعترف رامو بأخذه الصورة من غرفة ماغي ، لكنه أنكر سرقة عقد الألماس و النقود المسروقة و إتهم شانتي بسرقتهم ، إلا أن الشرطة لم تأخذ إتهامه هذا على محمل الجد ، فإعتقلته بمفرده بالجرم المشهود .

إشترى الكولونيل تايلور كلبا لماغي حيث قررت تسميته روفر ، تم توظيف طباخ جديد في المنزل لم أرتح لوجوده عوضا عن رامو يدعى چاي ، أخبرني ذات مرة برغبته بإنشاء مرأب للسيارات قد تكلفه أموالا طائلة فلم أرد عليه (كم يدفع لك أصحاب المنزل ؟ ألا تعرف ؟)

بدأ الكولونيل تايلور يؤدي تمارين المشي طوال النهار بصحبة روفر متجها كعادته إلى حدائق لودي القريبة من منزله ، جهزت نفسي للذهاب معه لتنظيف روفر من فضلاته ، كان يختفي أحيانا عن أنظارنا خلال هذه التمارين لعدة دقائق ، أحسست بشيء غريب في الموضوع ، فقررت ذات يوم و دون علم منه أن أراقب تحركاته الغامضة ، رأيته يتحدث إلى رجل قادم من وزارة الدفاع أعرفه جيدا من قبل خلال الحفلات الساهرة التي كانت تقام في المنزل على شرفه (لقد بحثت عنك طويلا يا سيد كومار ، لحظة خروجك من منزلك في جنوب إكس حتى محل الحلويات ، يجب أن تكون حذرا لخطواتك أكثر من ذلك)

(آسف سيدي الكولونيل ، أعرف بأنه لا يجب أن يرانا أحد ، قابلني يوم الجمعة الرابع عشر في موقف السيارات الكائن خلف حي بالسن جنوب إكس عند الساعة الثامنة مساء ، مفهوم ؟)

(مفهوم)

عدت مسرعا إلى روفر قبل أن يلحظ الكولونيل إختفائي و يشك بالأمر ، و في اليوم المتفق عليه أخبر الكولونيل زوجته بألا تنتظره على العشاء فمن المحتمل أن يعود متأخرا إلى المنزل هذه الليلة و لن يتناول العشاء معهم كيلا تنتظره و تحسب حسابه في الطعام .

لماذا أخفى عن زوجته أمر هذا الإجتماع ؟ فجأة و من دون مقدمات لم أعد أحبه كما في السابق حيث شعرت حينها بالأسى تجاه السيدة ريبيكا مما تتلقاه من خداع صادر عن زوجها الغامض .

توفيت والدته في مسقط رأسه إدليد ، فحزن الجميع عليها حزنا شديدا ، أخبر الكولونيل تايلور چاي بسفره مع عائلته إلى أستراليا (سيظل المنزل مغلق ، و يمكنك أنت و توماس و بقية الخدم تناول طعامكم في الخارج) .

لكن في تلك الليلة التي أعقبت سفر الكولونيل و عائلته ، كسر چاي باب المنزل متجها صوب المخبأ السري حيث حطم الأقفال المحيطة به فدفع بابه الخشبي الثقيل بقوة ، إستيقظت فزعا من نومي إثر سماعي صوت إطلاق النار

مـــن هنـــاك ، فركضـــت نحـــوه و تفاجـــأت بوجـــود چـــاي فـــي المخبـــأ حيـــث صـــرخ صاخبا أمامي (ألا يوجد أية نقود في هذا البيت ؟)

(چاي ؟ ماذا تفعل هنا ؟!)

(ظننـــت أن الكولونيـــل تـــايلور يخبـــئ النقـــود و المجـــوهرات فـــي هـــذه الغرفـــة ، لكنهـــا خاليـــة الوفـــاض ..... لقـــد أخـــذت شـــريط فيـــديو مـــن بـــين هـــذه الشـــرائط المطروحـــة و ســـأغادر إلـــى غيـــر رجعـــة ، فأنصـــحك بعـــدم إبـــلاغ الشـــرطة بمـــا حـــدث و إلا حطمت عظامك).

و بعـــد مغادرتـــه المنـــزل ، تلفتـــت مـــن حـــول الغرفـــة المليئـــة بالأشـــياء الغريبـــة و المتمثلـــة بكـــاميرات المراقبـــة و كتـــب عـــن الجاسوســـية و أوراق مكتوبـــة بشـــفرات ســـرية للغايـــة عـــنهم ، ثـــم رأيـــت صـــندوقا مليئـــا بأشـــرطة الفيـــديو المعنونـــة بأســـماء مـــن فـــي المنـــزل بالترتيـــب الزمنـــي : أجـــاي ، بغـــاواتي ، مـــأمور الشـــرطة الســـامي ، چيفـــان ، جـــونز ، مـــاغي ، ماكجيـــل ، راج ، رامـــيش ، ريبيكـــا ، روي ، شـــانتي ، ستيوارت و توماس .

ثـــم رأيـــت أيضـــا جهـــاز فيـــديو علـــى الـــدولاب ، فقمـــت بتشـــغيله ، بعـــد لحظـــات ، شـــاهدت نفســـي و أنـــا أتحـــرك حـــول أرجـــاء غرفتـــي ، فعرفـــت حقيقـــة الكولونيـــل تـــايلور و حاســـته السادســـة دون أن أخبـــر أحـــدا بمـــا رأيـــت ، فـــوفرت ٤٤ ألـــف روبية من راتبي متمنيا الحصول عليها ذات يوم .

لكنني قررت أن أتصل بالكولونيل تايلور و أخبره بما جرى البارحة ، فصرخ علي متفاجئا (ماذا ؟! ..... إسمعني جيدا يا توماس ، ضع قفلا جديدا على باب المخبأ ، لا تدع أحدا يقترب من غرفتي أو تدخل إليها بنفسك ، لا تتصل بالشرطة ، سأركب أول طائرة عائدة إلى نيودلهي في الحال)

(حاضر سيدي)

ما ان عاد الكولونيل تايلور إلى منزله حتى توجه مسرعا نحو المخبأ السفلي ، و بعد دقيقتين خرج منها مجددا (الحمد لله ، كل شيء في مكانه و لم يتعرض للسرقة أبدا ، أحسنت يا توماس)

جلست بالقرب من الهاتف طوال النهار منتظرا إتصالا من صديق ماغي المدعو جيمس حيث كانت تنتظره بفارغ الصبر و أخبرتني بأن أرفع السماعة و أرد عليه قبل أن يعلم والدها بذلك ، فما إن رن جرس الهاتف في الساعة السابعة و الربع حتى رفعت السماعة بسرعة غير كافية للرد حيث سمعت صوت الكولونيل تايلور يرد علي من هاتفه الكائن في المخبأ السفلي يرحب بشخص ما ألا و هو جيفان كومار ، و بعد لحظات ، سمعته يقول له (قابلني غدا الثلاثاء في الثامنة مساء عند محل المثلجات القريب من بوابة الهند ، لدي معلومات مثيرة بالنسبة لك)

(و هو كذلك)

فأغلق السماعة بعد ذلك ، في العاشرة مساء من اليوم التالي ، وصلت سيارة الشرطة إلى منزل الكولونيل و خرج منها المفتش الذي إعتقل صديقي رامو قبل فترة من هنا حيث إجتمع بالكولونيل تايلور ، و بعد بضع دقائق ، وصل المندوب السامي الأسترالي حيث سأل المفتش (لماذا الكولونيل تايلور أضحى شخصا غير مرغوب فيه ؟ و يجب أن يغادر البلاد خلال ٤٨ ساعة ؟)

(لقد إكتشفنا أنه يأخذ ملفات حكومية سرية للغاية عن طريق شخص يعمل في وزارة الدفاع يدعى جيفان كومار)

نكس الكولونيل تايلور رأسه إلى الأسفل خجلا دون أن ينبس بأدنى شفه و بدأ الحزن يعلو وجه المندوب السامي (هذه المرة الأولى التي يصبح فيها واحد من ضباطي الممتازين شخصا غير مرغوب فيه من قبل السلطات الرسمية في الهند .... صدقني يا حضرة المفتش ، تشارلز ليس جاسوسا ، لكني أتفهم قراركم بترحيله من البلاد ، أخبرني كيف عرفتم بأمر إجتماعه بالمدعو كومار ؟)

(أحد الأستراليين إتصل بي هذا الصباح يا سيدي)

(و كيف عرفتم أنه أسترالي ؟)

(من لكنته الأسترالية في الكلام حيث قال لي " صاباح الخيير ييا رافييق ، إذهب إلى بواباة الهوند عند الثامينة ليلن " هكذا تكلم معي)

و في اليوم التالي ، غادر الكولونيل تايلور البلاد ، ثم لحقت به عائلته و غادرت المنزل الذي سأرحل عنه بعد خروجهم منه و بحوزتي ثلاثين نسخة من مجلة الجغرافيا الأسترالية سأبيعهم عما قريب و بحوزتي٥٢ ألف روبية عندما أعود إلى بومباي و ألتقي بصديقي الوفي سليم هناك .

تأملت سميتا ساعتها و قد شارفت على الدخول إلى صباح اليوم التالي عند الحادية و النصف صباحا (هل تريدين الإستمرار ؟)

(بالتأكيد)

ضغطت سميتا على زر التسجيل ، بدأ مقدم البرنامج بريم كومار بتلاوة السؤال القادم أمامي (السؤال التالي بمائة ألف روبية متعلق بالدبلوماسيين ..... عندما تقول الحكومة للدبلوماسي الأجنبي بأنه شخص غير مرغوب فيه ، ماذا تعني ؟ ١) أنه حصل على جائزة ؟ ٢) أنه بقي في البلاد مدة طويلة ؟ ٣) أنه فظ ؟ أم ٤) أنه شخص مكروه من قبل الحكومة و يجب أن يغادر البلاد فورا ؟ هل فمهت السؤال جيدا سيد توماس ؟)

(نعم ، الإجابة رقم (٤) ، أنه شخص مكروه من قبل الحكومة و يجب أن يغادر البلاد)

فحدث هرج و مرج من قبل الجمهور المتفاجئ من إجابتي داخل القاعة ، فسألني بريم كومار كالمعتاد (جواب نهائي ؟)

(نعم)

قرعت الطبول ، و ظهرت الإجابة الصحيحة على الشاشة (إجابتك صحيحة ، لقد فزت بمائتي ألف روبية ، يا جمهوري العزيز ، لقد أضحى سيد توماس بحاسته السادسة أبو العريف هذه الليلة!)

الفصل الثامن

جريمة قتل في القطار

كانت محطة باهارغاني للسكك الحديدية في نيودلهي مزدحمة بالمسافرين حتى النخاع ، ذهبت إلى القطار المتجه نحو بومباي مرتديا قميصا أبيض اللون و بنطال جينز و بالقرب مني حمال يحمل حقيبتي على رأسه بعدما دفعت أجرته حيث إحتوت بداخلها على أعداد من مجلة الجغرافيا الأسترالية و بعض الملابس و لعبة من أجل سليم دون أن أضع نقودي فيها ، فلقد سمعت العديد من القصص عن لصوص القطارات الذين يأخذون حقيبة سفرك و أنت نائم دون أن تدري ، وضعت مبلغ الخمسين ألف روبية التي نلتها إثر إنتهاء عملي لدى أسرة تايلور في بنطالي ما عدا ألفي روبية أنفقتهم في شراء ملابس جديدة و تذكرة القطار و لعبة سليم .

جلست بالكاد في إحدى عربات الدرجة السابعة عند مؤخرة القطار ، و كان سريري العلوي قريبا من الباب ، فوضعت حقيبتي تحتها .

يوجد في عربتنا ستة أسرة ، إحداهما فوقي و إثنتان أمامي و مثلما بجواري ، جلست أسرة مكونة من أربعة أفراد تعيش في نيودلهي ذاهبة إلى بومباي لحضور عرس شقيق ربها على سرير منخفض قدامي ، الولد يدعى أكشاي و يبدوا ودودا و طويل القامة و في العشرين من عمره ، و شقيقته تدعى ميناكشي بغاية الجمال رغم أنها أكبر سنا منه بقليل ، أما والدهما فرجل

أعمال يرتدي معطفا أسود اللون و غطاء رأس رياضي ، عكس زوجته المرتدية للساري الأخضر .

غادر القطار فورا المحطة ، و بعد فترة وجيزة من الزمن ، جلس أكشاي بالقرب مني ليمارس شغفه الشديد بألعاب الكمبيوتر الخاصة به ، أخبرته عن إجادتي للغة الإنجليزية و قراءتي لمجلة الجغرافيا الأسترالية و لدي سبع صديقات و شرائي لأخر ألعاب الكمبيوتر الجديدة و زيارتي المرتقبة لأعز أصدقائي في بومباي سليم ..... الخ .

لم يصدق أكشاي كلمة واحدة مما قلته (أنت لا تعرف شيئا عن ألعاب الكمبيوتر ، أنت مجرد كاذب كبير)

جعلني أشعر بالغضب الشديد نحوه (دعني أخبرك يا سيد أكشاي ، لدي بحوزتي خمسون ألف روبية ، هل سبق و رأيت نقودا كثيرة كهذه ؟)

(أرني إياها !)

أدخلت يدي إلى جيب بنطالي الجينز و أخرجت منه ظرفا به نقودا ورقية من فئة الألف روبية و لوحت بهم أمام أنفه ثم أعدتهم إلى الظرف فالبنطال بلمح البصر ، إتسعت عينا أكشاي من فرط الدهشة ، تمكنت من ملاحظة إحساسه الآني بالفرق ، و أضحيت فجاة بالنسبة له أكثر أهمية منه .

إستيقظت على وقع صراخ رجل شاب يبدو كطالب جامعي كث اللحية ذو شعر طويل و يرتدي قميصا أبيض اللون و بنطالا أسود اللون و يحمل في يده

اليسرى مسدس ، فهمست لنفسي واصفا إياه بأنه لص ، و سيما و أن هذه المرة الأولى التي أشاهد بأم عيني لصوص قطارات بمظهر الطلاب الجامعيين (أريدكم جميعا أن تجلسوا على أسرتكم حالا)

جلسنا جميعا على أسرتنا المنخفضة ، جلس أكشاي و والده بالقرب مني ، و جلست ميناكشي و والدتها مقابلنا ، فتح اللص حقيبته الملعقة على كتفه (أريد من الرجال إعطائي ساعاتهم و نقودهم ، و على النساء أن يعطينني مجوهراتهن ، هيا بسرعة و إلا أطلقت عليكم النار)

أجهشت ميناكشي من البكاء فعلا ، فلقد وضعت والدتها عقدها و أساورها و والدها ساعته و نقوده في حقيبة اللص ، تحسست روبياتي الأخيرة في جيب قميصي فوضعتهم في حقيبتي .

ما إن هم اللص بالمغادرة و السعادة مرسومة على وجهه حتى صرخ أكشاي بأعلى صوته (مهلا! هذا الشاب لديه خمسون ألف روبية !)

أستشاط اللص غضبا من أكشاي (هل تمزح معي ؟)

(أنا لا أمزح ، أنه يخفي نقوده في بنطاله)

إلتفت الي و صوب فوهة مسدسه على رأسي (أعطني نقودك الآن)

لم أجرؤ على مقاومته لدرجة أني أخرجت الظرف من بنطالي و أعطيته إياه ، فتحها و إبتسم لحظة رؤيته النقود ، ثم وضعها في حقيبته ، ما حدث جعلني أشعر بغضب عارم جدا ، خمسون ألف روبية تؤخذ مني بغمضة عين ؟ و

بدون تفكير هجمت على اللص بكل ما أوتيت من قوة ، تفاجأ بهجومي ، لكنه سرعان ما صوب مسدسه ، على بطني ، فبمجرد أن بدأ بإطلاق النار حتى وجهت مسدسه نحو صدره ، فدوى صوت الرصاص و أمتلأ قميصي بالدم الأحمر ، فسمعت صراخ أكشاي (أوه يا الهي) .

فجأة ، وجدت اللص غارقا في دمائه ممددا على الأرض و مسدسه في يدي ، إستشطت غضبا لحظة رؤيته محفور عليه إسم (كولت) ، توافد الناس رجالا و نساء و أطفالا من أرجاء العربة حول مكان الجريمة متأملين بفزع اللص الميت الممدد على الأرض ، ففكرت في نفسي ، هل سيبلغون الشرطة عني بصفة البطل الذي قتل اللص دفاعا عنهم أم بصفة مجرم قتل رجل بريء دون أن يعرف إسمه ؟ لم أطل التفكير بالأمر و قررت الهرب قبل وصول القطار إلى المحطة التالية حيث قفزت من باب العربة و المسدس مازال في يدي ، لم يكن لدي متسع من الوقت لإستعادة نقودي من اللص القتيل ، فما كان يشغل تفكيري حينها سوى الهروب بعيدا من هناك ، فإنطلقت صوب آخر قطار مغادر من المحطة عندما ذهبت إلى الجسر المعلق فوقه راميا المسدس الى أسفل النهر المظلم .

لم أتمكن من الذهاب إلى بومباي خوفا من وصول الشرطة إلى سليم بعدما يبلغهم أكشاي بذلك و يجدوني عنده في تشاتكوبتر و بالتالي يلقوا القبض علي بأية لحظة في الحال ، توقف القطار في التاسعة صباحا في محطة مكتظة

بالمسافرين مكتوب على لافتتها العريضة (محطة أجرا) و نزلت من على متنها دون أن أنظر إلى الوراء .

وضعت سميتا يدها على فمها (أوه يا إلهي ! ..... طوال هذا الوقت كنت تعيش بعقدة ذنب قتل شخص واحد؟)

(بل شخصين ، لا تنسي سيد شانترام)

(لكن جريمة قتل لص القطار كان مجرد حادث)

(أعرف ذلك ..... و الآن دعينا نكمل ما بدأناه)

أشار مقدم البرنامج بريم كومار إلي (هل أنت مستعد للسؤال التالي؟ حسنا ..... السؤال متعلق بالأسلحة النارية و يقول ، من أخترع المسدس ؟ هل هو ١) صامويل كولت ٢) بروس براونينغ ٣) دان ويسون أم ٤) جيمس ريفولفر ؟)

كان سؤالا صعبا إستغرق مني وقتا طويلا في البحث عن الإجابة الصحيحة ، فسألني بريم كومار (هل عرفت أي من هذه الأسماء هو الجواب الصحيح ؟)

(أعرف أحدهم)

(حسنا ، إذن ما هو جوابك ؟)

(الإجابة رقم (١) ، صامويل كولت)

(جواب نهائي ؟)

(نعم)

قرعت الطبول و ظهرت الإجابة الصحيحة على الشاشة (إجابتك صحيحة ، لقد فزت بخمسمائة ألف روبية)

لم أتمكن من تصديق هذا ، حيث عوضت خسارتي لخمسين ألف روبية في حادثة القطار بخمسمائة ألف روبية دفعة واحدة .

الفصل التاسع

قصة حب

غادرت محطة أجرا بعد ساعتين و بدأت بالسير على الأقدام عبر الشوارع المزدحمة الى أن وصلت بعد جهد جهيد الى ضفة النهر ، و على الجهة المعاكسة له يوجد بناء عملاق أبيض اللون لم أر أعظم و أجمل منه في حياتي ، سألت رجلا يقف بجانبي (عفوا ، ما هذا البناء ؟)

نظر الي بإستغراب (أو لا تعرفه ؟! أنه تاج محل)

قادني السير مدة ثلاثين دقيقة الى المدخل ، و هو عبارة عن بوابة بيضاء عملاقة ذات لافتة حمراء مكتوب عليها (أسعار الدخول الى تاج محل : عشرون روبية للهنود ، عشرون دولار للأجانب ، مغلق في أيام الإثنين ، الدخول مجانا في أيام الجمعة)

و من حسن حظي أن اليوم جمعة و يصادف الثاني عشر من يونيو ، إضافة الى أنه كان مكتظ بالزوار من جميع الأجناس و الفئات ، الشباب و الشيوخ ، الأغنياء و الفقراء ، الهنود و الأجانب .

رأيت فوجا من السياح الأجانب ينصتون بإنتباه الى الدليل السياحي (سأروي لكم قصة تاج محل ، ذات يوم ، وقع الأمير المغولي خورام في حب فتاة شابة اسمها ممتاز محل عام ١٦٠٧م ، فتزوجها عام ١٦١٢م ، و خلال ١٨ عاما من زواجهما أنجبا ١٤ طفلا ....)

ظل يتحدث لفترة من الزمن ، ثم ما لبث الفوج أن تحرك من مكانه ، و ما ان هممت بالمضي قدما معي حتى أستوقفني شخص ما من الخلف (عفوا ، هل تتكلم الإنجليزية ؟)

التفت اليه ، فإذا هو بمعية زوجته و طفليه يتحلقون حولي (نعم)

(أرجوك ، هل يمكنك أن تخبرنا القليل عن تاج محل ؟ فنحن سياح يابانيون حديثوا العهد بالمكان ، وصلنا لتونا الى مدينتك اليوم دون أن نعلم عنها شيئا)

وددت لو أخبرته بأني مثلهم حديث العهد بهذه المدينة و لا أعلم عنها شيئا ، لكني لم أخيب رجاءه (لقد بنى الإمبراطور المغولي خورام تاج محل من أجل زوجته ممتاز محل التي تزوجها عام ١٥١٢م و أنجب منها ١٨ طفلا خلال ١٤ عاما من زواجهما السعيد)

(١٨ طفلا خلال ١٤ عاما فقط ؟!)

(نعم ، على أية حال ، ماتت ممتاز محل بعدما أنجبت طفلهما التاسع عشر ، لكن قبل وفاتها ، طلبت من زوجها الإمبراطور أن يبني لها تاج محل كي تدفن فيها)

حدثتهم عن تاج محل مدة خمس دقائق ، و عندما انتهيت ، شكرني السائح الياباني و وضع شيئا ما في يدي ثم رحل ، فأفاجأ بأنها ورقة نقدية بقيمة خمسين روبية مقابل حديث مدته خمس دقائق !

بـــدأ الظـــلام يخـــيم علـــى ســـماء المدينـــة لحظـــة مغـــادرتي تـــاج محـــل ، أضـــطررت للبحـــث عـــن مكـــان أبيـــت فيـــه ، فاســـتوقفت شـــابا فـــي مثـــل ســـني علـــى الشـــارع ، التفـــت و نظـــر الـــي بعينيـــه الـــودودتين اللتـــين لـــم أر مثلهمـــا مـــن قبـــل (عفـــوا ، أنـــا غريب عن هذه المدينة ، هلا أرشدتني رجاء الى مكان أبيت فيه ؟)

هز رأسه قائلا (اوزو كيفيكس خكا لغخيز)

(عفوا ، لم أفهم هذه اللغة ، سأسأل شخصا غيرك)

(ايجوب بكغكز هز)

بـــدأ يجرنـــي علـــى طـــول الخـــط بوجهـــه البشـــوش ، لـــذا جاريتـــه ، الـــى أن أوصـــلني بعـــد مضـــي ١٥ دقيقـــة مـــن الســـير الشـــاق الـــى قبالـــة منـــزل ضـــخم مكتـــوب علـــى بوابتـــه الأماميـــة (قصـــر ســـوابنا) حيـــث فتحهـــا صـــديقي الجديـــد و دخلـــت معـــه الـــى بســـتانه الواســـع و مررنـــا مـــن خلالـــه صـــوب بـــاب المنـــزل ، فضـــغط الجـــرس ثـــم فـــتح البـــاب مـــن قبـــل وصـــيفة بديعـــة المنظـــر ذات شـــعر داكـــن (أوه ، أهـــذا أنـــت شـــانكار ؟ ألا تعلم أن سيدة القصر لا ترغب بمجيئك الى هنا ؟)

أشار شانكار إلي (دز ازاو خنكه)

نظـــرت الوصـــيفة إلـــي (اذن ، شـــانكار أحضـــرك الـــى هنـــا للمبيـــت عنـــدنا ؟ ســـأنادي سيدة القصر)

بعـــد فتـــرة وجيـــزة مـــن الـــزمن ، ظهـــرت امـــراة فـــي العقـــد الرابـــع مـــن عمرهـــا (أربعـــون عامـــا) أمـــام البـــاب ترتـــدي ثيابـــا باهظـــة الـــثمن و تتـــزين بكـــم هائـــل مـــن المجـــوهرات

المصنوعة من الذهب ، عيناها باردتان جامدتان و بالتالي لم أشعر بدفء المشاعر نحوها ، سألتني بفظاظة (من أنت ؟ و لماذا أتيت بصحبة شانكار ؟)

لم أخبرها بإسمي الحقيقي حتى لا يبلغوا الشرطة عني بخصوص جريمة القتل التي وقعت في القطار (أدعى راجو شارما ، و أنا غريب عن هذه المدينة و أبحث عن مكان أبيت فيه)

تغيرت معاملتها الفظة الى لطيفة نحوي بمجرد محادثتي لها بالانجليزية (لدينا فندق عائلي بغرف إلا أنه حاليا مكتظ بالنزلاء ، فلو إنتظرت أسبوعا على الأقل ، فبامكاننا أن نوفر لك غرفة شاغرة ، يبلغ إيجار الغرفة حوالى ٤٠٠ روبية في الشهر ، سترشدك لاچوانتي اليه)

(شكرا سيدتي ، سأخذ هذه الغرفة و أدفع إيجارها الأسبوع القادم)

(بإمكانك أن تقيم مع شانكار خلال هذا الأسبوع)

أخذتني الوصيفة لاچوانتي الى الفندق حيث كان محاطا بساحة كبيرة تحيط بدورها ثلاثين غرفة من بينها غرفة شانكار بسرير و احد و مطبخ من الصفيح ، بينما الغرفة التي سأستاجرها من بين أربع غرف منفصلة عن غرفة شانكار ، سألت لاچوانتي عنه (من يكون شانكار هذا ؟ لقد التقيت به في تاج محل)

(انه يتيم ، لديه خلل في عقله ، يجيد فقط الحديث بكلمات غريبة ، يتجول حول المدينة طوال اليوم ، و مع ذلك سيدتي لطيفة معه الى حد أنه لا يدفع إيجار غرفته منذ شهور ، بل تعطيه المال كي يشتري طعاما له)

صدمني كلامها عنه ، ظننت منذ الوهلة الأولى أنه يبدو كشاب ذكي يعاني مشكلة في النطق لا كمختل عقليا (حدثيني عن سيدة القصر)

(اسمها سوابنا ديفي ، و هي أغنى امراة في مدينة أجرا)

في المساء ، طبخ شانكار لي طعام العشاء و أعد السرير كي أنام عليه بينما نام هو على الأرض ، فأغرورقت عيناي بالدموع جراء كرمه الحاتمي و لطفه الجم .

اضطررت الى دفع ٤٠٠ روبية مقدما لسيدة القصر خلال هذا الأسبوع بعدما تعلمت بسرعة مهنة المرشد السياحي في تاج محل و استمعت بانتباه لكلام غيري من المرشدين السياحيين باللغة الانجليزية قدر الإمكان .

انتقلت الى غرفتي الخاصة بعد أسبوع ، لكني عرفت المزيد عن شانكار خلال أيامها السبعة ، كانت كلماته التي يجهر بها بمنتهى الغرابة عديمة المعنى و بغاية الغموض بالنسبة له ، الا انه قادر على رسم الناس عبر لوحاته الفنية الفائقة الجمال أيضا ، على مدار ليلتين سمعته يصرخ باكيا أثناء نومه (أمي ، أمي) فعرفت لاحقا ان لديه رفيق يستطيع من خلاله الحديث معه بشكل طبيعي .

قابلت في تاج محل فتاة سمراء إسمها نيتا تضع زهورا بيضاء على شعرها الأسود الطويل ، على الرغم من انها مقيمة في أجرا منذ سنوات طوال ، إلا أنها المرة الاولى التي تزور فيها تاج محل لعدم قدرتها أن تدفع أجرة المرشد

السياحي ، فعرضت عليها سريعا أن أخذها في جولة مجانية الى المكان ، و في اليوم التالي ، رأتني مجددا و ابتسمت لي بمنتهى الخجل (معي نقود اليوم كي أدفع أجرتك)

ضحكت من كلامها (هل تودين أن أخذك في جولة أخرى في هذا المكان ؟)

و هكذا مشينا معا و تبادلنا المعلومات السياحية التي أعطيتها البارحة حول تاج محل ، فسرعان ما أدركت لاحقا أنها تريد البقاء معي و ليس الإستفادة من معلوماتي السياحية .

ظللت نيتا مترددة على تاج محل طوال أيام الأسبوع ، جلسنا معا و تبادلنا الحديث ، و شيئا فشيئا وقعت في حبها ، و عندما صارحتها بالأمر صمتت دون رد يذكر .

(ما الخطب ؟)

(يجب أن أذهب ، عن إذنك)

تركتني وحيدا و رحلت بعيدا ، لم أستوعب تصرفها الغريب هذا ؟! هل لديها سر غامض تخفيه عني ؟!!

أتى شانكار إلى غرفتي باكيا (ما الأمر ؟)

أشار إلى جرح غائر في ساقه (هل وقعت على الأرض ؟)

هز شانكار رأسه و أخذني إلى باحة القصر و أشار إلى حائط صغير في الزاوية حيث كان أطفال الشوارع يقفزون على الدوام منه إلى الأسفل ، شككت في الأمر و قررت أن أفعل مثلهم و أجرح ساقي بعد سقوطي من الحائط حيث لم أر أي كلب متشرد أسفله تماما .

حل عام جديد يحمل في طياته أحلاما و أمان جديدة ، أنا و نيتا قد بلغنا الثامنة عشرة من عمرنا و أضحى بإمكاننا الزواج من بعضنا البعض ، أضحى القمر مكتملا في كبد السماء مساء يوم الجمعة و كلانا معا يتأمل سراجه المنير الوضاء المنعكس على أيادينا المتشابكة أمام تاج محل حيث كانت نيتا أكثر جمالا من بنائه الخرافي (هل تحيبيني ؟)

(نعم)

(هل تتزوجيني ؟)

ظلت صامتة لبضع دقائق ، ثم إستأنفت الحديث معها (كلا لا أستطيع ، أنا مخطوبة لشخص آخر)

(مخطوبة لشخص آخر ؟! أنا لا أصدق ؟!! ... .. هل أنت مضطرة للزواج منه ؟!)

(نعم ، إنه غني و ناجح في عمله ، و سيدفع لعائلتي ٤٠ ألف روبية في حال زواجي منه)

(لعلي أتمكن من دفع هذا المبلغ لهم عوضا عنه ؟)

(هل لديك ٤٠ ألف روبية ؟)

(لـدي الآن ٤٨٠ روبيـة ، لكنـي بحاجـة إلـى ٣٩،٥٢٠ روبيـة كـي أكمـل المبلـغ ، و ساعتها نتمكن من الفرار بحبنا ...)

(لا ! حاولـت أختـي الفـرار مـع حبيبهـا العـام الماضـي ، فلحقـت عـائلتي بهـا و كسروا سيقانهما ، ثم حرموها من الأكل و الشرب مدة عشرة أيام)

فعدل كلانا عن فكرة الهرب تماما .

حضـر شـانكار إلـى غرفتـي و هـو يكـح و يسـعل و يرتمـي علـى السـرير مـن شـدة التعـب و الألـم فـي ذراعيـه و سـاقيه ، ظـل شـانكار مريضـا طـريح الفـراش حتـى إحضـاري الطبيـب لـه فـي صـباح اليـوم التـالي ، و بعـدما عالجـه و دفعـت لـه أجرتـه نظـر إلـى شـانكار ثـم سـألني (هـل لديـه أيـة خـدوش فـي جسـده ؟ هـل عضـه كلـب ؟)

أخبـرت الطبيـب عـن الجـرح الغـائر فـي ذراعـه ، فهـز رأسـه ثـم أخبرنـي بـأن شـانكار يعـاني مـن السـعار و قـد يـؤدي ذلـك إلـى وفاتـه لا محالـة (ألا يوجـد أي طريقـة لإنقاذه ؟)

(هل لديك أربعون ألف روبية ؟ إنها تكاليف علاجه من السعار)

الجميـع يريـد أربعـين ألـف روبيـة و لـيس بحـوزتي سـوى أربعـة آلاف روبيـة فحسـب ، فقـررت أن أنقـذه مـن هـذا الوضـع الميـؤوس منـه و أخـذه إلـى غرفتـي و أبقيـه علـى سـريري و أنـا بالمقابـل أنـام علـى الأرض ، لاحقـا و فـي تلـك الليلـة ،

سمعت شانكار يتحدث صارخا إلى نفسه أثناء نومه (أمي ، أمي ، أنا آسف ، لا تضربيني ! لا تضربيني ! أحبك يا أمي ، لقد رسمت صورك في كراستي الزرقاء)

في صباح اليوم التالي ، تذكرت أمر الكراسة الزرقاء فبحثت عنها في غرفة شانكار إلى أن وجدتها تحت سريره الخشبي حيث كانت مليئة بالرسومات الملونة لإمرأة أعرفها جيدا إلا و هي السيدة سوابنا ديفي ، فإتجهت نحوه ملوحا بالكراسة الزرقاء أمامه (سوابنا ديفي هي والدتك ؟)

تلعثم شانكار في الكلام من هول المفاجأة و حاول عبثا أنتزاع الكراسة الزرقاء مني (أعرف أن هذه هي الحقيقة يا شانكار ، فهي تضربك ضربا مبرحا و ترميك مرارا خارج المنزل ، هل الأمر له علاقة بكونك غير قادر على الكلام ؟)

(اك اك اك لغزخوز اكيب هجههو)

ظل شانكار يصرخ بكلامه المتلعثم حتى بعد مغادرتي له متجها صوب سيدة القصر سوابنا ديفي بخصوص ذلك الأمر بعد بضع دقائق (نعم سيد توماس ، لماذا تريد رؤيتي ؟)

(لقد عرفت سرك الدفين يا سيدة سوابنا ديفي ، أنت أم شانكار الحقيقية)

(أيها الكاذب ؟!!!! أغرب عن وجهي !)

(أريد منك أربعين ألف روبية لعلاج شانكار ، إنه مريض بالسعار ، يجب أن تعطيني النقود و إلا سيموت خلال الأربع و عشرين ساعة القادمة)

نظرت إلي قائلة (لعل الموت أفضل له من بقائه على قيد الحياة)

لقد كان أبشع موقف يصدر من أم حيال إبنها المريض ، في تلك الليلة ، أقيمت حفلة في القصر حضرها عدد من الشخصيات المهمة في الدولة و المجتمع حيث تمكنت من سماعهم من خلال غرفتي و هم يضحكون و يشربون بفظاظة بينما كان شانكار ممددا على سريري و ممسكا بيدي و دون أن يتوقف عن الصراخ و مناداة والدته الحقيقية قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة في الثانية عشرة مساء و سبع دقائق .

كنت غاضبا جدا إلى حد الرغبة في الصراخ و العنف ، و مع ذلك أثرت أن أغطي جسده و أحمله الى القصر ، فمشيت إليه في خط مستقيم نحو غرفة الطعام وسط جميع الضيوف الجالسين على مائدتها العريضة يتناولون الحلويات ، فصعدت على متنها و وضعت جثته عليها أمام الحاضرين ، فغرت سوابنا ديفي من هول الموقف دون أن تنطق بحرف واحد (سيدة سوابنا ديفي ، لقد مات إبنك كنوار شانكار سينغ غوتام منذ نصف ساعة ، رفضت أن تعالجيه على حسابك ، لذا أرجوك أن تدفعي تكاليف جنازته في الحال)

ثم تجاوزت الضيوف و خرجت من الحفلة ليلا .

مر أسبوعان على وفاته ، لم أفكر خلالها مجرد التفكير بالذهاب إلى عملي في تاج محل أو رؤية نيتا ، و بعد ذلك حضر إلي أحد الأشخاص من خارج القصر حاملا معه بعض الأخبار السيئة (هناك إتصال لك من فتاة تدعى نيتا و تطلب منك الذهاب إلى قسم الطوارئ في مستشفى سينغانيا)

ركضت من فوري نحو المستشفى دون تردد ، و عند وصولي إلى مدخله إصطدمت رغما عني برجل أعرفه معرفة جيدة و رأيته من قبل في بومباي لحظة مغادرته شقة الممثلة السينمائية الشهيرة نيلما كوماري .

أسرعت الخطو الى قسم الطوارئ سائلا الطبيب بقلق شديد عنها (أين نيتا؟)

(أنا هنا يا راجو) نادتني بصوت ضعيف و صدمت عند رؤية جسدها المريض الممدد على السرير حيث إكتظ وجهها بالكدمات العنيفة و جرح عميق تحت عينها اليسرى ، فضلا عن أن الدم مازال يسيل من أسنانها البراقة تذكرني بإصابات قديمة بنفس الأسلوب رأيتها من قبل)

(من ..... من فعل بك هذا بحق الجحيم؟)

(الرجل الذي أراد الزواج مني ، حاولت أخباره مرارا و تكرارا بأني لا أريد الزواج منه ، لا أريد الزواج منه ، و لكن دون جدوى ...)

في تلك الأثناء ، دخل رجل عجوز علينا دون حياء أو خجل (هذا والدي يا راجو ... أبي ، هذا هو راجو الذي أخبرتك عنه ....)

صرخ والدها في وجهي غاضبا (أنت ؟! كيف تجرؤ على القدوم إلى هنا ؟!! ما حدث لإبنتي نيتا أنت السبب فيه!)

(ليس صحيحا ...)

(بل صحيح ، لقد حاولت أن تنتزعها من الرجل الذي ستتزوجه ، هل عرضت علينا أن تدفع لنا أربعين ألف روبية ؟ بالطبع لا)

أردت قتله ، لكني تذكرت أنه والد نيتا (سأعطيك المال المطلوب في الحال !)

إنطلقت مسرعا نحو غرفتي قادما من المستشفى منتظرا خروج سيدة القصر سوابنا ديفي منه إلى أن غادرت المنزل و صعدت سيارتها متجهة نحو حفلة كبرى في إحدى ضواحي المدينة ، فتسلقت إليها من خلال نافذة غرفة النوم ، فلقد أخبرتني وصيفتها لاجوانتي ذات مرة عن وجود صندوق مجوهراتها خلف لوحة الخيول الكبيرة بألوانها الزاهية و المرسومة من قبل الفنان الهندي حسين في غرفة نومها التي وجدتها في الحائط الأيسر منها ، سرعان ما أنزلت اللوحة من الحائط و رأيت صندوق المجوهرات أمامي ، أخبرتني لاجوانتي أيضا بأن سيدتها تحتفظ بمفتاح الصندوق تحت السرير حيث وجدته فورا دون تعب ، فتحت الصندوق و نظرت ما بداخله ، فكانت المفاجأة ! إنه خال تماما من المجوهرات ! إلا من بعض النقود و الأوراق و صورة صغيرة لطفل صغير ألا و هو شانكار .

أخذت النقود من الصندوق ثم أغلقته مجددا و أعدته إلى مكانه و وضعت المفتاح تحت السرير ، بعد ذلك نزلت من غرفة النوم حتى أسفل القصر فإنطلقت مسرعا نحو غرفتي دون أن يشعر بي أحد ، أغلقت بابها علي و بدأت بعد النقود التي إستوليت عليها ، فوجدتها ٣٩،٨٤٤ روبية ، لكني اكملت المبلغ المطلوب ب١٥٦ روبية التي في جيبي .

وضعت النقود في حقيبة ورقية و ركضت نحو المستشفى ، و بينما كنت أهم بالدخول إلى قسم الطوارئ فإذا برجل ذو شعر طويل و سميك أسود اللون يرتدي نظارة شمسية يصطدم بي و يوقعني على الأرض و تسقط الحقيبة من يدي لتخرج كافة النقود منها ، تفاجأ الرجل و سال لعابه عند رؤية النقود على مرمى حجر منه مثل طفل مستمع بما تلقفته يداه من أشياء غريبة في الأرض ، بداية ظننته سيسرقها فإذا به يعيدها إلي (هل هذه النقود لك ؟ هلا أقرضتني إياها رجاء كي أنقذ حياة إبني من الموت ؟ إنه في السادسة عشرة من عمره ، لقد عضه كلب مسعور و أصابه بالسعار ، أخبرني الطبيب بأنه سيموت الليلة في حال لم نتمكن من دفع تكاليف علاجه التي تبلغ حوالى أربعبن ألف روبية)

(آسف يا سيدي ، لا يمكنني مساعدتك ، فهذا المال مخصص لعلاج شخص أحبه)

إنطلقت مسرعا نحو قسم الطوارئ حيث كانت نيتا تنام في أحد أسرتها و والدها يجلس بجوارها (لماذا أتيت ؟)

(لقد حصلت على النقود)

تأمل والدها النقود (من أين سرقتها ؟)

(ليس مهما ، لقد أتيت لأخذ نيتا معي بعيد من هنا ....)

(نيتا ستبقى هنا ، لقد أخبرني الأطباء بأنها تتألم بشدة من داخل جسدها و سيستغرق علاجها حوالى أربعة أشهر لتتحسن من جديد حيث سنضطر إلى دفع تكاليفه الباهظة الثمن و التي تقدر بحوالى ستين ألف روبية ، فلو كنت تريد نيتا حقا ، فعليك أن تعود بستين الف روبية)

أدركت حينها أن نيتا لن تكون على ما يرام ، و والدها يريد مني نقودا أكثر من إمكانياتي ، شعرت بإعياء شديد و رأيت السواد من حولي ثم أغلقت عيناي لبرهة من الزمن .

و عندما فتحتهما مجددا ، رأيت صحيفة ملقاة على الأرض عليها صورة إعلان لرجل يبتسم و بحوزته نقودا ورقية من فئة الألف روبية حيث قرأت الكلمات التي تحتها بإمعان (أهلا بكم في البرنامج التلفزيوني " من سيربح المليار ؟" إتصلوا بنا أو راسلونا على العنوان التالي : ستديوهات بريم – خار – بومباي ، قد تكون أنت الرابح!)

عرفت حينها من العنوان المكتوب أسفل الإعلان بأني عائد إلى بومباي لا محالة ، ذهبت إلى الرجل ذو النظارة الشمسية حيث رأيته ينتظر بالخارج ، فنظر إلي بعينين ملؤها الأمل و الرجاء دون أن يحاول من خلالهما محادثتي

بخصوص حقيبة النقود الورقية التي بحوزتي ، فإذا بي أعطيها له على الفور (انها لك ، يوجد بداخلها أربعون ألف روبية ، إذهب و أنقذ حياة إبنك)

أخذ الحقيبة مني و أجهش بالبكاء فشكرني ، ثم أخرج من جيبه بطاقة دعائية و أعطاني إياها (فيه إسمي و عنواني ، سأعيد لك مالك عما قريب ، فأنا مدرس ، و منذ هذه اللحظة إعتبرني خادمك المطاع)

(شكرا لك ، لكني لا أظن أني سأحتاج إلى مساعدتك ، فأنا ذاهب إلى بومباي)

جلست على أريكة سميتا التي بدأت تذرف الدموع الغزيرة (أنا أسفة يا رام .... هل مازالت نيتا في أجرا ؟)

(لا أعرف أين هي ؟! و هل سألقاها مجددا ؟!! لا أعرف)

(لنر السؤال التالي)

سألني مقدم برنامج من سيربح المليار بريم كومار (في أي مسرحية من مسرحيات وليم شكسبير توجد شخصية كوستارد ؟ ... هل هي :١) مأساة الملك لير أم ٢) تاجر البندقية أم ٣) حب العمال الخاسرين أم ٤) عطيل ؟)

نظرت إليه باندهاش دون رد مما أثار إستغراب بريم كومار نفسه (هل تعرف الإجابة ؟)

(ليس بعد)

(لـــيس بعـــد ؟! مـــاذا ســـتفعل ؟! يمكنـــك أن تطلـــب منـــي حـــذف إجـــابتين أو الإتصال بصديق)

مـــاذا عســـاي أن أفعـــل كـــي أجيـــب علـــى هـــذا الســـؤال ؟! وضـــعت يـــدي علـــى جيـــب قميصـــي باحثـــا عـــن عملـــة الحـــظ ، و فجـــأة و بـــدلا مـــن العثـــور عليهـــا أخرجـــت البطاقـــة الدعائيـــة التـــي منحنـــي إياهـــا المـــدرس و والـــد الطفـــل المصـــاب بالســـعار عنـــدما إلتقيـــت بـــه فـــي قســـم الطـــوارئ بمستشـــفى ســـانغانيا حيـــث قـــرأت فيهـــا المعلومـــات المتعلقـــة بـــه (أوبتـــال تشـــاتيرچي ، مـــدرس لغـــة انجليزيـــة بمدرســـة سانت جون ، أجرا) ثم رقم هاتفه .

أعطيـــت البطاقـــة لمقـــدم البرنـــامج بـــريم كومـــار (أتصـــل بهـــذا الرجـــل ، أريـــد الإســـتعانة بصديق)

تأمـــل مندهشـــا إلـــى البطاقـــة و قـــد بـــدت ملامـــح القلـــق و التـــوتر علـــى وجهـــه ، لكـــن ســـرعان مـــا إســـتجمع شـــجاعته و أعـــد الإتصـــال لـــي (أمامـــك دقيقتـــان .... مـــا أن أريك الإشارة حتى تبدأ الإتصال ..... الآن)

إتصـــلت بصـــاحب البطاقـــة فمـــرت نصـــف دقيقـــة و الجمهـــور يترقبنـــي بقلـــق شـــديد ، و فجأة ، رد شخص ما على إتصالي (آلو ؟)

(آلو ، هل يمكنني الإتصال بالسيد أوبتال تشاتيرچي ؟)

(هذا أنا)

(سيد تشاتيرچي ، أنا رام محمد توماس ، أنت لا تعرفني و لكني قابلتك في مستشفى سانغانيا ، ألا تذكر ؟)

(أوه يا إلهي ! لقد بحثت عنك في كل مكان ، لقد أنقذت حياة إبني ...)

(سيد تشاتيرچي ، ليس لدي الوقت الكافي ، أنا أشارك في برنامج من سيربح المليار و بحاجة إلى مساعدتك في الإجابة على سؤال)

(سؤال ؟ بالطبع)

مرت أقل من ثلاثين ثانية ، و الجميع يترقب مشدوها إلى ساعة الحائط (أخبرني بسرعة ، في أي مسرحية من مسرحيات وليم شكسبير توجد فيها شخصية كوستارد ؟ ١) مأساة الملك لير ؟ ٢) تاجر البندقية ؟ ٣) حب العمال الخاسرين ؟ أم ٤) عطيل ؟)

مرت ١٥ ثانية و مازال السيد تشاتيرچي صامتا ثم قال (لا أعرف ما إذا كانت موجودة في مسرحية مأساة الملك لير أم مسرحية حب العمال الخاسرين ؟!)

(أريد جوابا واحدا فقط)

(أذن ، مسرحية حب العمال الخاسرين ...)

(إنتهى الوقت سيد توماس .... و الآن ، ما هو جوابك النهائي على السؤال ؟)

(الإجابة رقم ٣) ، حب العمال الخاسرين)

(جواب نهائي ؟)

(نعم)

قرعت الطبول و ظهرت الإجابة الصحيحة على الشاشة فوقف مقدم البرنامج بريم كومار يحمر وجهه و يتصبب عرقا من شدة الخجل (إجابتك صحيحة ، لقد فزت بمليون روبية ، ما هو شعورك الآن ؟)

(كيو بزغ كنزكسپ !)

(ماذا قلت ؟!)

(قلت أشعر بتحسن)

الفصل العاشر

قاتل في منزلي

قررت ألا ألتقي بسليم عند وصولي إلى بومباي حتى لا يعلم برغبتي في المشاركة الملحة ببرنامج من سيربح المليار ، و لكني إلتقيت به صدفة ذات يوم أثناء سيري على الأقدام في الشارع الرئيسي (عفوا يا .... من ؟ محمد ؟! ماذا تفعل في بومباي ؟!!)

لقد بدا سليم نجما سينمائيا بغاية الحسن و الجمال أطول و أكثر وسامة مني في السادسة عشرة من عمره ، فلقد أخبرني بأنه يأخذ دروسا في التمثيل على يد المنتج السينمائي عباس رضوي الذي دفع تكاليفها بعدما عرض عليه أول دور له في فيلمه القادم (رائع يا سليم ، كيف حدث هذا؟)

(بعد رحيلك من بومباي ، واصلت عملي في خدمة تسليم وجبات التيفين السريعة ، و ذات يوم و بينما كنت أجمع إحدى الوجبات من زوجة الزبون المدعو موكيش راوال ، فإذا به يخبرني عن إمتلاك زوجته مكتب عمل و عن عمله كممثل مساعد في الأفلام السينمائية ، ذهبت إليه في مكتبه و طلبت منه أن يوظفني ممثلا مساعدا ، فأخبرني بأني أصغر سنا مما يجب ، لكنه وعدني أن يقنع صناع الأفلام أعطاني بعض الأدوار الشاغرة عن أطفال الشوارع ، و طلب مني أن أعطيه بعض الصور الفوتوغرافية الخاصة بي حتى يعرضها على السيد پاپو الذي يبحث عن ممثلين مساعدين ، ثم ذهبت إلى إستديو للتصوير لأفاجأ بأسعارها الباهظة ، فأخبرني بشراء كاميرا رخيصة

لألتقط صورا لي حيث نزلت إلى عدة أماكن مختلفة في المدينة طالبا من المارة تصويري حيث بالكاد إلتقطت حوالى عشرين صورة شخصية لي إلى جانب بعض الصور للميادين و الناس خلال هذا المشوار القصير نوعا ما ، إحداها عريضة الحجم لرجل متوسط العمر صورته بعدما تعرفنا على بعضنا البعض "أنت سليم ، أليس كذلك ؟ لقد هربت مني مرة ، و لن تفلت مني أبدا هذه المرة يا عزيزي" لقد كان پاپو بيلاي المعروف بمامان!)

(يا إلهي ! و ماذا فعلت ؟)

(ركضت نحو الحافلة و قفزت إليها هربا منه ، فإذا به يلحق بي بغية الإمساك بي ، و فجأة و وقف له رجل يدعى أحمد خان بالمرصاد و حال بيني و بينه و قذفه بعيدا خارج الحافلة الى قارعة الطريق ، جلست بالقرب منه على المقعد المجاور له و شكرته على ما فعل ، أخبرني أن لديه منزل كبير و هو بحاجة إلى شخص يجيد الطبخ و التنظيف ، فأضحيت منذ تلك اللحظة خادمه المطيع ، و خلال هذا الأسبوع أعطيت صوري لموكيش راوال حيث عرضها بدوره على السيد پاپو ، و بعد ثلاثة أشهر حصلت على دوري السينمائي الأول ، طالب جامعي في فيلم (الأشقياء) للمخرج عباس رضوي)

(رائع ! لنذهب و نشاهده الآن ....)

(و لكن هذا الدور صامت و لمدة ثلاث ثوان ، إلا أن السيد عباس رضوي وعدني بإعطائي دورا أكبر في فيلمه القادم ..... أحمد خان مهووس برياضة

الكريكيت ، و يحب أيضا مشاهدة برنامج (جرائم بومباي) على التلفزيون ، هل شاهدته من قبل ؟)

(كلا ، لم أشاهد قط لا في نيودلهي أو اجرا)

(إنه يبدو مثل نشرة الأخبار ، إلا أنهم يحدثونك عن الجرائم العنيف كالقتل و الإغتصاب ، و ما كان يثير إستغرابي أحيانا ، وجود كم هائل من الظروف البريدية المرسلة إلى بيته ، و ذات يوم عندما أحضرت له الشاي في منتصف الظهيرة تبعثر سهوا على واحد منها ، فخشيت أن يفسد ماؤها الساخن محتوى الرسائل التي بداخله ، لذا قررت فتحه دون إذن من صاحبها)

(ماذا وجدت فيها ؟)

(صورة شخصية لوجه رجل مقاس ٤×٦ و قطعة ورق مكتوب عليها الكلمات التالية =

الإسم : ڤيتاباي تشوربادي

العمر : ٥٦ سنة

العنوان : ٧٣/٤ شارع مارڤي – مالاد .

ظننت أنه رجل أعمال و صديق حميم للسيد أحمد ، فأغلقت الظرف مجددا بسرعة البرق إغلاقا محكما ، و عندما حل المساء ، فتحه السيد أحمد قبل أن يتركه ليرد على هاتفه الذي لم يكف عن رنينه المزعج لإتصاله المفاجئ " نعم ، لقد إستلمتها " و بعد أسبوعين ، و بينما كان يشاهد برنامج (جرائم

بومباي) ، كنت في المطبخ حيث لم أتمكن من سماع الرجل الذي يتحدث على شاشة التلفاز عن مصرع رجل الأعمال ڤيتالباي تشوربادي داخل منزله الكائن بشارع مارڤي عن عمر ناهز السادسة و الخمسين عاما ، لكن الذي فاجأني و أثار إستغرابي هو فرحته الغامرة لمقتل صديقه الحميم دون أن يشعر بالأسى حياله ؟!! ، و بعد مضي شهر على تلك الجريمة ، وجدت ظرفا أصفر اللون على الطاولة ، فإستغليت غياب السيد أحمد عن المنزل لأفتحه و أجد بداخله صورة شخصية مقاس ٤×٦ لشاب موضوع على قطعة من الورق مكتوب عليها الكلمات التالية =

الإسم : جمال كدوال

العمر : ٢٨ سنة

العنوان : ٣٥ مدينة شيلاجيت السكنية – كولابا

عاد السيد أحمد مساء و فتح الظرف الأصفر ، و بعد قليل ، رد على نفس الإتصال المزعج "لقد إستلمتها" لأفاجأ مجددا بسماعي خبر مقتل المحامي جمال كدوال عبر برنامج جرائم بومباي الشهير عندما خرج من سيارته الواقفة قرب منزله في مدينة شيلاجيت السكنية ! شعرت بالقلق الشديد بعد رؤيتي لمحتويات الظرف الأصفر الجديد من صورة الضحية القادمة و عنوان مسكنها المكتوب أسفل ظهرها الكائن في أول شارع بكورلا ، في اليوم التالي ، تتبعت خطوات السيد أحمد التي أوصلته الى الشارع الأول في كورلا و لكن دون أن أدخل إلى المسكن المستهدف ، مر من خلاله ثلاث أو أربع مرات

كما لو أنه يتفحص المكان قبل أن يعود الى منزله ، و بعد أسبوعين يذكر برنامج جرائم بومباي وجود الضحية قتيلا داخل بيته في الشارع الأول بكورلا ، عرفت لاحقا أن أحمد خان يستأجر قتلة مأجورين لتصفية بعض الشخصيات القريبة منه ، ماذا عساي أن أفعل ؟!! الرجل أنقذني من قبضة مامان ، لذا لا أستطيع أن أبلغ الشرطة عنه ، ثم عرض المخرج عباس رضوي علي دورا في فيلمه القادم ، لكن حدث شئ فظيع آنذاك)

(ماذا حدث ؟)

(منذ أربعة أشهر ، و تحديدا في العشرين من فبراير حيث جرت مباراة كريكيت دولية بين الهند و أستراليا على أرضنا و راهن أحمد خان فيها بمبلغ ١٠ آلاف روبية على أن الهداف الأول لمنتخب الهند القومي ساشين مالڤانكر سيسجل هدفه المائة للمرة السابعة و الخمسين ، و سمعته من خلال الهاتف يقول هذا الكلام قبل تسجيل الهدف)

(و هل سجل مالڤانكر هدفه المائة للمرة السابعة و الثلاثين ؟)

(كلا ، فخسر أحمد خان الرهان بسببه ، و قد كان يشتاط غضبا مما حدث ، إلا أنه أستلم ظرفا أخر أصفر اللون في نفس الموعد من كل يوم (منتصف الظهيرة) ، و رأيت الصورة التي بداخله و إنتابني الرعب)

(لماذا ؟)

(لقد كانت صورة المخرج عباس رضوي !)

(توجهت فورا إلى عباس رضوي و حذرته مما يدبر له ، في البداية لم يصدقني ، لكن أريته محتويات الظرف الأصفر المتعلقة به حتى قرر أن يسافر إلى دبي في الإمارات و الإقامة بها مدة سنة أو سنتين ، شكرني على إنقاذي لحياته و وعدني بجعلي بطل فيلمه القادم ، و سيدفع مصاريف دروسي في مجال التمثيل ، و عندما عدت إلى البيت وضعت صورة جديدة و عنوان جديد داخل الظرف الأصفر السالف الذكر ، فقتل أحمد خان الرجل الخطأ ، و قبل أن يتمكن من إكتشاف الأمر ، أخبرته بأني مضطر للذهاب إلى بيهار و ترك العمل عنده ، و خلال الأسبوع الماضي ، شاهدت برنامج جرائم بومباي و صدمت برؤية جثته الملقاة في محطة تشورتشغات بعد قتله على يد الشرطة خلال إشتباك مسلح بين الطرفين)

(يا إلهي ! صورة و عنوان من الذي وضعتها في الظرف ؟)

(صورة مامان شخصيا)

إبتسمت سميتا (يا له من داهية شقيقك سليم ! لكن هل أخبرته عن برنامج من سيربح المليار ؟)

(كلا)

(إذن ، فسليم لا علم له بالموضوع ؟ حسنا ، لنر كيف أفاد لقاؤك بسليم في إجابتك على السؤال التالي)

سألني بريم كومار في بداية البرنامج (سؤالنا القادم بقيمة عشرة ملايين روبية و متعلق بعالم الرياضة ، كم مرة حقق الهداف الأول لمنتخب الهند في الكريكيت ساشين مالقانكر هدفه المائة ؟ ، هل هو ١) ٣٤ ؟ أم ٢) ٣٥؟ أم ٣) ٣٦؟ أم ٤) ٣٧؟)

(هل يمكنني أن أسالك سؤالا ؟)

(تفضل)

(هل الهند لعبت ضد دولة أخرى منذ مباراتهم الأخيرة مع أستراليا؟)

أثار سؤالي له أعصابه أكثر من ذي قبل سرعان ما ربط جأشه عند رؤيته منتج البرنامج (كلا)

(الإجابة رقم ٣) ، ٣٦)

(جواب نهائي ؟)

(نعم)

قرعت الطبول و ظهرت الإجابة الصحيحة على الشاشة (إجابتك صحيحة ، لقد فزت عشرة ملايين روبية)

الفصل الحادي عشر

إهتم بأزرارك

كنت أعمل في مطعم و حانة جيمي ببومباي لمدة شهرين ، غادر الزبائن الحانة بعدما حل منتصف الليل ما عدا واحد مازال يشرب و يرفض أن يتزحزح من مكانه و يعود إلى منزله ، لقد كان شابا في العقد الثالث من عمره و يرتدي أفخر الثياب الداكنة و أغلاها على الإطلاق (أوه ، أخي العزيز ، أنا آسف جدا)

و لأن المدير أخبرنا أن نتحدث مع الزبائن بلباقة عندما يشكون همومهم و هم سكارى ، فقد سألته هذا السؤال (ماذا حدث لأخيك سيدي ؟)

نظر إلي (أنا براكاش راو ، مدير عام شركة سوريا لصناعة الملابس الجاهزة التي تصنع أزرار القمصان و السراويل و المعاطف و التنانير)

(و شقيقك ؟ ما إسمه ؟)

(أرفين راو ، رجل أعمال عظيم و صاحب الشركة و رئيس مجلس ادارتها ، و له الفضل في منحي عملا لدى مكتبه في نيويورك)

(نيويورك ؟! لا بد أنه عمل ممتع)

(أجل ، و لكن قبل ألتقي بجولي هناك)

لاذ بالصمت للحظة ، ثم إستأنف حديثه معي (إسمها الحقيقي أرزولي دي رونيساري ، و مع ذلك فالجميع ينادونها بجولي ، كانت عاملة تنظيف في المكتب ، هاجرت من بلدها هايتي إلى أمريكا بطريقة غير شرعية)

(أين تقع هايتي تلك ؟)

(إنها بلد فقير تقع بالقرب من المكسيك)

(دعني أخمن ، لقد وقعت في حبها و تزوجتها اليس كذلك ؟)

(صحيح ! ذهبنا إلى بورت لويس لقضاء شهر العسل و هناك إكتشفت بالصدفة أن جولي تمارس الفودو)

(الفودو ؟! و ماذا ذاك ؟!!)

(إنه الدين الرسمي في مسقط رأسها حيث يمارس الهايتيون كافة طقوسها الغريبة ، هو نوع من السحر)

(إذن ماذا حدث بعد ذلك ؟)

(على الرغم من كونها مجرد عاملة تنظيف ، إلا أنها أرادت العيش كإمرأة غنية ، تسعى وراء المال طوال الوقت ، بدت تنساني و تنسى أنها متزوجة من شقيق صاحب شركة عملاقة لتوجه أطماعها صوب الأخير ، و هكذا بدأت أسرق القليل من النقود من الشركة دون أن يلاحظ أخي الأمر ، لكن سرعان ما إكتشف ذلك بعدما إزدادت وتيرتها بمرور الوقت ، فإستشاط غضبا مني دون أن يبلغ الشرطة عني ، و إستعاض عن ذلك بتعييني مدير مكتب صغير

في حيدر آباد و خصمه قيمة المال المسروق من مرتبي ، لقد كنت سعيدا بهذا الإجراء بدلا من وضعي في السجن ، إلا أنه أثار غضب جولي (كيف يقدم أخاك على فعل هذا بك ؟ انه قاسي القلب) ، و بمرور الزمن بدأت أقتنع بوجهة نظرها بعدما أضحى أرفين بغاية القسوة أكثر من ذي قبل حيث قلت لنفسي إنه مضطر لمعاقبتي ، فطلبت مني جولي إحضار زر من إحدى قمصان أخي الغير مغسولة و خصالات من شعره)

و هكذا زرت منزله في بومباي ، و سحبت إحدى الأزرار من قميصه البالي ، ثم أخذت خصالات من شعره المغروس في مشطه الموضوع داخل سريره ، عدت سريعا إلى بيتي ، فغرستهم على دمية ، بعد ذلك قتلت دجاجة و غمست رأس الدمية في دمها (و الآن ، أصبحت دمية الفودو جاهزة)

إعطتني على الدبوس الأسود و طلبت مني أن أغرزها في رأس الدمية حتى يصاب أخي بصداع مزمن ، ثم أمررها من خلال الزر الموضوع على صدرها حتى يعاني من الألم الشديد الذي لا يطاق في صدره ، فنفذت تعليماتها بحذافيرها و أنا أضحك ، و بعد ساعتين تقريبا ، تلقيت مكالمة هاتفية تخبرني بأن شقيقي قد نقل إلى المستشفى إثر تعرضه لنوبة قلبية)

(هذا مدهش !)

(ظللت طوال الشهرين التاليين أستمتع بإيذائه ، ذهبت إلى بومباي أخذا الدمية المسحورة معي لحضور حفل عشاء أقيم على شرفه إثر فوزه بجائزة الأعمال الزجاجية حيث ألقى خطاب شكر بهذه المناسبة السعيدة ، فغرزت

في الخفاء الدبوس الأسود على رأسها ، فما إن بدأ بمخاطبة الحضور حتى تلعثم في الكلام و إرتعشت يداه من شدة الخوف و توقعان الجائزة الثمينة على الأرض فتتحطم و تتحول إلى أشلاء صغيرة ، بعد ذلك ، أخذوه إلى مستشفى الأمراض العقلية و النفسية ، و خلال فترة علاجه ، أضحيت رئيس مجلس إدارة الشركة عوضا عنه لتفتح أبواب الثراء أمامي ، إلا أنها جعلتني أشعر بالقلق حياله)

ظل صامتا لهنيهه ثم إستأنف حديثه المثير للحزن حيث وضع رأسه المثخن بجراح الماضي على يدي (مات شقيقي هناك منذ أسبوعين ، آه يا أخي المسكين ! لقد مات بسببي و أنا قتلته بيدي)

(أنا آسف)

ثم نظر إلى السقف بغضب (سأعيد جولي إلى بلدها هايتي أو ....)

أبتسم و أخرج مسدسه الصغير بحجم يد طفل من غمده (سأقتلها بهذا المسدس و و و و و و ..... !!!)

و فجأة سرت رعشة على جسده من شدة الخوف فوضع كلتا يديه على صدره ، ثم وقع على الأرض دون حراك بعدما فارق الحياة ، لم يدر بخلدي أنه دفع ثمن الشراب الذي تعاطاه قبل لحظات . وصلت سيارة الإسعاف إلى الحانة و معها الطبيب الذي أخبرنا بأنه مات بنوبة قلبية وصلت الشرطة بعد

نصف ساعة من وفاته حيث إكتشفت كمية هائلة من النقود في جيوبه دون أن يجدوا فيها أية مسدسات ، فمنذ متى الأموات يحملون مسدسات ؟!.

إبتسمت سميتا (لا يمكنني أن أصدق حقيقة مقتل بركاش راو عبر دمية فودو غرز في رأسها دبوس أسود)

(دعينا نسمع إجابة السؤال التالي)

ضغطت سميتا على زر التسجيل .

سألني مقدم البرنامج بريم كومار (ما هي عاصمة بابوا غينيا الجديدة ؟ ، هل هي ١) بورت لويس ؟ ٢) بورت أم برنس ؟ ٣) بورت مورسبي ؟ أم ٤) بورت إدليد ؟)

(حسب علمي هي ليست بورت أو برنس عاصمة هايتي ، و لا بورت لويس عاصمة موريشيوس ، و لا حتى بورت إدليد الواقعة في أستراليا ، الإجابة رقم ثلاثة ، بورت مورسبي)

(جواب نهائي ؟)

(نعم)

قرعت الطبول و ظهرت الإجابة الصحيحة على الشاشة (إجابتك صحيحة ! هذا مدهش حقا ! لقد فزت مائة مليون روبية أيها الساحر)

الفصل الثاني عشر

السؤال الأخير

نظر مقدم البرنامج بريم كومار إلى الكاميرا (السؤال الأخير بقيمة مليار روبية ، من المعروف أن ممتاز محل كانت زوجة إمبراطور الهند المغولي شاه جيهان الذي بنى من أجل تخليد ذكراها المعلم الشهير تاج محل ، و لكن ما إسم والد ممتاز محل ؟ هل هو ١) ميرزا علي كولي بيغ ؟ ٢) سراج الدولة ؟ ٣) عاصف چاه ؟ أم ٤) عبدالرحيم خان كنان ؟ فكر جيدا بالإجابة سيد توماس ..... سيداتي سادتي ، فاصل قصير و نعود إليكم فإبقوا معنا !)

أنزلت غرفة التحكم إشارة التصفيق ثم توقفت عن التسجيل ، ضحك بريم كومار أمامي دون سبب يذكر (هل درست التاريخ الهندي سيد توماس ؟)

(كلا ؟)

(إذن لا يمكنك معرفة الإجابة الصحيحة ، قل وداعا للمليار روبية التي فزت بها....)

ضحكت بدوري عليه (الإجابة رقم (٣) ، عاصف چاه)

توقف بريم كومار فجأة عن الضحك فاغر فاهه من شدة الدهشة (كيف ... كيف عرفت هذا ؟!)

(لقد كنت مرشدا سياحيا في تاج محل مدة عامين فقط)

سرعان إمتقع لون بشرته من فرط المفاجأة ، ثم إنطلق مسرعا نحو منتج البرنامج حيث تجادلا فيما بينهما لبعض الوقت .

مرت عشر دقائق على الفاصل الإعلاني و قد بدأ الجمهور ينفذ صبره من إطالتها قبل أن يعود بريم كومار إلى مقعده و يستأنف الجزء الثاني و الأخير من الحلقة بعدما إنزلت غرفة التحكم إشارة التصفيق معلنة بدء التسجيل مجددا (سيداتي سادتي ، قبل الفاصل الإعلاني ، سألنا المتسابق عن إسم والد الإمبراطورة ممتاز محل ، لكن هذا السؤال لم يكن مطروحا على هذه الصيغة ، بل هو عبارة عن فاصل إعلاني عن شاي ممتاز محل !)

بدأ الحاضرون يتهامسون حول ما قاله قبل قليل و السخرية منه ، ما دفع غرفة التحكم إلى إنزال إشارة التصفيق مجددا ، لم أسخر منه مثلهم ، لأني إيقنت فعلا أن هذا البرنامج صنعه غشاشون ، أنزلت غرفة التحكم إشارة الصمت و بدأ بريم كومار الحديث أمام الكاميرا (سيداتي سادتي ، السؤال الأخير بقيمة مليار روبية للسيد توماس ، تعرف سيمفونية بيتهوفن الموسيقية على البيانو أو سوناتا رقم ٢٩ بسوناتا صائد الخنازير ، وفق أي مقام موسيقي تم تلحينها ؟ هل هو ١) مقام بي كبير ؟ ٢) مقام غي صغير ؟ ٣) مقام أي كبير ؟ أم ٤) مقام سي صغير ؟ فكر في الإجابة الصحيحة جيدا و لا تتسرع سيد توماس .... سيداتي سادتي ، فاصل قصير و نعود إليكم لمتابعة هذه الحلقة الممتعة ، فإبقوا معنا)

أنزلت غرفة التحكم إشارة التصفيق و توقفوا عن التسجيل ، همس بريم كومار لي (أنا ذاهب إلى دورة المياه ، تعال معي)

ذهبت معه إلى دورة المياه الخاصة بالرجال داخل إستديو البرنامج حيث غسلنا أيدينا هناك ، إبتسم لي قائلا (أنا آسف سيد توماس ، أنا مضطر لإنهاء البرنامج على هذا النحو ، لم يعد لدينا المال الكافي لتسليمك الجائزة)

(لم أشارك في برنامجك المشهور سعيا وراء جوائزك المغرية ، بل من أجل الإنتقام)

نظر الي باستغراب (الإنتقام ؟! ممن ؟!!)

سرعان ما أخرجت مسدسا صغيرا بحجم القلم من جيب سروالي مصوبا فوهته نحو عيناه المتسعتان من شدة الرعب (و لكن .... لكن لماذا ؟ أنا لم أرك من قبل إلا في هذا البرنامج ؟)

(أنت مخطئ ، لقد رأيتك تخرج من شقة الممثلة السينمائية الشهيرة نيلما كوماري و أنت ترتدي قميصا أبيض اللون و سروال جينز أزرق و تحمل في يدك الأخرى نقودها ، و من ثم رأيتك مجددا عند نيتا ...)

(نيتا ؟! .... هل تعرف نيتا ؟!!!)

(سألتها أن تتزوجني ، فردت علي بأنها مجبرة على الزواج منك ! .... نعم أنت ! أنت الذي شوهت وجهها بالسكين و تسببت لها بجروح غائرة جعلتها طريحة الفراش في المستشفى مدة أربعة أشهر)

(كيف .... كيف عثرت علي ؟)

(عندما كنت في أجرا قرأت إعلانا في الصحيفة عن برنامجك من سيربح المليار حيث كان وجهك يتصدر واجهته)

صرخ بريم كومار باكيا أمامي (أرجوك لا تطلق النار علي ، إسمع ، أنا سأدعك تفوز بالمليار روبية)

(لا أبالي بجوائزك و لا بروحك!)

صوبت المسدس إليه تمهيدا لقتله ، كما في الأفلام بدا لي الأمر سهلا ، لكن سرعان ما تراجعت عن قراري في آخر لحظة ، أنت تعرفين أنه حالما أطلق النار على شخص ما سيخترق رصاصها الملتهب قلبه و يتدفق جدارها الهش سيل من الدم الأحمر على الأرض ، و هكذا حاولت أن أشعر بالغضب العارم نحوه متذكرا بشاعة ما فعله في وجه نيلما كوماري و جسد نيتا ، و مع ذلك و بدلا من الشعور بالغضب ، شعرت فجأة حيث بدأت أذرف الدموع الغزيرة من عيناي بعدما أدركت عجزي التام عن قتل شخص ما بدم بارد ، فما بالك بالجرذ الحقير المدعو بريم كومار ؟!

أعدت المسدس إلى جيبي ، مسح بريم كومار جبينه بالمنديل (أشكرك على إنقاذ حياتي سيد توماس ، و عرفانا بالجميل سأعطيك الإجابة الصحيحة للسؤال الأخير و ستربح من خلالها المليار روبية !)

لـم يكـن فـي نيتـي المشـاركة بهـذا البرنـامج بغيـة الفـوز بجائزتـه ، لكـن فكـرت مليـا بالمليـار روبيـة و نقودهـا الكثيـرة التـي سـتمكنني مـن شـراء حريـة نيتـا حيـث مجبـرة علـى الـزواج مـن بـريم كومـار هـذا و جعـل سـليم نجـم سـينمائي شـهير و مسـاعدة الآلاف من اليتامى و أطفال الشوارع و إقتناء سيارة جديدة ايضا.

إبتسـم بـريم كومـار لـي (إسـتمع إلـي جيـدا ، الإجابـة الصـحيحة هـي رقـم (٣) ، فقـط أجـب بكلمـة رقـم (٣) و ستصـبح المليـار روبيـة فـي متنـاول يـديك ، موافـق ؟)

(و هو كذلك)

عـاد كلينـا إلـى إسـتديو البرنـامج ، فأنزلـت غرفـة الـتحكم إشـارة الصـمت معلنـة إسـتئناف الحلقـة مجـددا حيـث إلتفـت بـريم كومـار إلـي (سـيد رام محمـد تومـاس ، قبـل الفاصـل الإعلانـي سـألتك السـؤال الأخيـر فـي هـذه المسـابقة بقيمـة مليـار روبية ، هل أنت مستعدة للإجابة عليه ؟)

(حاليا ، أود استخدام خيار حذف إجابتين)

تـوتر بـريم كومـار و هـو ينظـر إلـي و يضـغط علـى زر الحـذف ، و تظهـر علـى الشاشـة الإجـابتين رقمـي (١) و (٣) (لقـد حـذف الكمبيـوتر رقمـي (٢) و (٤) و تـرك لـك نظيريهمـا (١) و (٣) ، إذا إختـرت الإجابـة الصـحيحة مـن بينهمـا و ستصـبح أول شـخص فـي تـاريخ البرنـامج يفـوز بمليـار روبيـة ، أمـا اذا إختـرت

الإجابة الخاطئة فستصبح أول شخص في تاريخ البرنامج يخسر مليار روبية في أقل من ثانية ، الخيار لك ؟)

أخرجت عملة الحظ الخاصة بي من جيبي (لو إخترت الرؤوس فستكون اجابتي رقم (١) ، و إذا اخترت الذيول ستكون إجابتي رقم (٣))

هز بريم كومار رأسه بالموافقة رغم أن عيناه كانتا تقدحان بالشرر ، رميت العملة إلى فوق و سقطت على يدي ، حدث للجمهور نوع من الهرج و المرج لعدم تصديقهم أني سأحصل على النقود من خلال عملة جالبة للحظ حيث نظرت اليها و قد أنكفأ وجهها على الرؤوس (الإجابة رقم (١))

تفاجأ بريم كومار من ردي إلى حد التوتر (جواب نهائي سيد توماس ؟! يمكنك أن تغير إجابتك و تختار رقم (٣) إذا أردت ؟!!)

(جواب نهائي)

قرعت الطبول و ظهرت الإجابة الصحيحة على الشاشة و عبر بريم كومار عن فرحته بفوزي في المسابقة بصوت مرتبك (إجابتك صحيحة ، و لقد ربحت المليار روبية يا سيد توماس !)

و لم تمر بالكاد دقيقتين حتى إنهال الجمهور علي بالتصفيق الحار و الوقوف صفا واحدا من كافة المشارب إجلالا و تقديرا لنجاحي الباهر ، إبتسمت لبريم كومار دون أن يبادلني نفس الفرحة حيث إقتحم منتج البرنامج الإستديو

فجاة و أخرجه من هناك و بدأ صراخهم و شجارهم يعلو و يصل صداه إلى من حولهم .

نظرت سميتا إلى ساعتها و نهضت من الأريكة (يا لها من قصة عجيبة ! و يا له من برنامج غشاش ! إذن ، فلقد حاول بريم كومار خداعك بإعطائك الإجابة الخاطئة حتى بعدما حافظت على حياته ؟!)

(و الآن و بعد أن أفشيت جميع أسراري لك هل كنت أستحق الفوز بالمليار روبية أم لا ؟)

نظرت مباشرة إلى عيناي (الآن يمكنني أن أفشي لك سري ، أنا الفتاة غوديا التي ساعدتها في السكن العشوائي ، والدي لم يقتل بسببك بل أصيب بكسر في ساقه فحسب ، و مع ذلك أشكرك جزيلا على ما فعلته به حيث لم يعد يؤذيني مجددا ، لقد بحثت عنك طوال هذه السنين ، و بعد جهد جهيد رأيت إسمك في إحدى الصحف و عرفت من خلالها أنه تم إعتقالك من قبل الشرطة ، لذا هرعت مسرعة إلى مكان إحتجازك دون قيد أو شرط)

فجأة إنهمرت الدموع من عيني و إحتضنتها بفرحة و سرور (غوديا ! لقد أصبحت صديقتي و شقيقتي محامية ! اهئ اهئ اهئ)

(لقد حاربت من أجلي ، و الآن سأحارب من أجلك)

الفصل الثالث عشر

وعد الأخت لأخيها

مضت ستة أشهر دون أن تسعى الشرطة لإعتقالي مجددا ، و ذلك لأن سميتا دافعت عني بشراسة دفاع أم شجاعة عن أطفالها الصغار ، فلقد إكتشفت أن الشرطة أغلقت ملف جريمة القتل في القطار المتجه إلى بومباي بحق اللص الذي حاول سرقتي و قيدته ضد مجهول ، و حاولت الشركة الراعية لبرنامج من سيربح المليار تلفيق تهمة الغش لي قبل أن تثبت براءتي عبر شريط الفيديو الذي سجلته معها ، بموجب ذلك إستلمت جائزتي منهم بعد مرور أربعة أشهر على ما حدث و لكن أقل من المبلغ الحقيقي بعدما خصمت الحكومة منه ضريبة المسابقات التلفزيونية ، لم تعد الشركة المنتجة لبرنامج من سيربح المليار قادرة على إنتاج المزيد من البرامج المتنوعة على شاكلة الأول بعدما تسبب بإفلاسها حيث كنت الفائز الأول و الأخير فيه ، أما مقدمه بريم كومار منذ شهرين فتوفي منتحرا إثر إطلاق النار على نفسه كما أكد تقرير الشرطة إما بسبب برنامجه التلفزيوني الفاشل أو هربا من منتجيه و مموليه الساعين لقتله ، لا أعرف .

أما سليم فقد أضحى نجما سينمائيا في السابعة عشرة من عمره بعد حصوله على دور البطولة في فيلم من إنتاجي أنا لا إنتاج محمد بهات حسبما كان يعتقد حول طالب جامعي .

أصبحت حبيبتي العزيزة نيتا معي في بومباي ، لقد صارت زوجتي الآن .

مشيت مع سميتا على طول الشاطئ المحاذي بعدما توقف سائق سيارتي هناك و نزل منها لمرافقتنا ببطء (أريد أن أسالك سؤالا ، لما لم تخبريني فورا بأنك غوديا ؟)

(لأني أردت سماع قصة حياتك و العثور على الحقيقة بين سطورها ، و قد تأكدت لاحقا من صحتها)

(متى ؟)

(عندما رويت قصتي بالتفصيل دون أن تدري أن بطلتها تقف بجوارك و تستمع إليها في الوقت ذاته ، و الآن ، هل يمكنني أن أسالك سؤالا ؟)

(بالطبع)

(لماذا رميت عملة الحظ إلى أعلى لحظة إحضارك إلى منزلي مساء ؟)

شرحت لها الأمر (كنت أسال نفسي ، هل يمكنني الوثوق بها ؟ لذا تركت عملة الحظ تقرر عني ، فاذا وقعت على الرؤوس عندها سأخبرك كل شيء ، أما إذا حدث العكس و وقعت على الذيول سأفارقك و أقطع صلتي بك إلى الأبد)

(إذن ، فأنت تؤمن بالحظ ؟)

إبتسمت لها و أخرجت العملة من جيبي و أعطيتها لها (لا ، أنظري إليها)

نظــرت ســـميتا إليهـــا و قلبـــت وجهيهـــا حيـــث كلاهمـــا منقـــوش فيـــه صـــورة الـــرؤوس فقط (نعم ، إنها عملة حظي ، لكني لم أعد أومن بالحظ الآن)

أخــذت العملــة مــن يــدها و رميتهــا فــي الهــواء بعيــدا لتســقط فــي قعــر البحــر (لمــا رميتها بعيدا يا توماس ؟)

(لم أعد بحاجة لها يا غوديا ، فالحظ لا ينبع إلا من داخل الإنسان نفسه)

(النـــهايـــة)